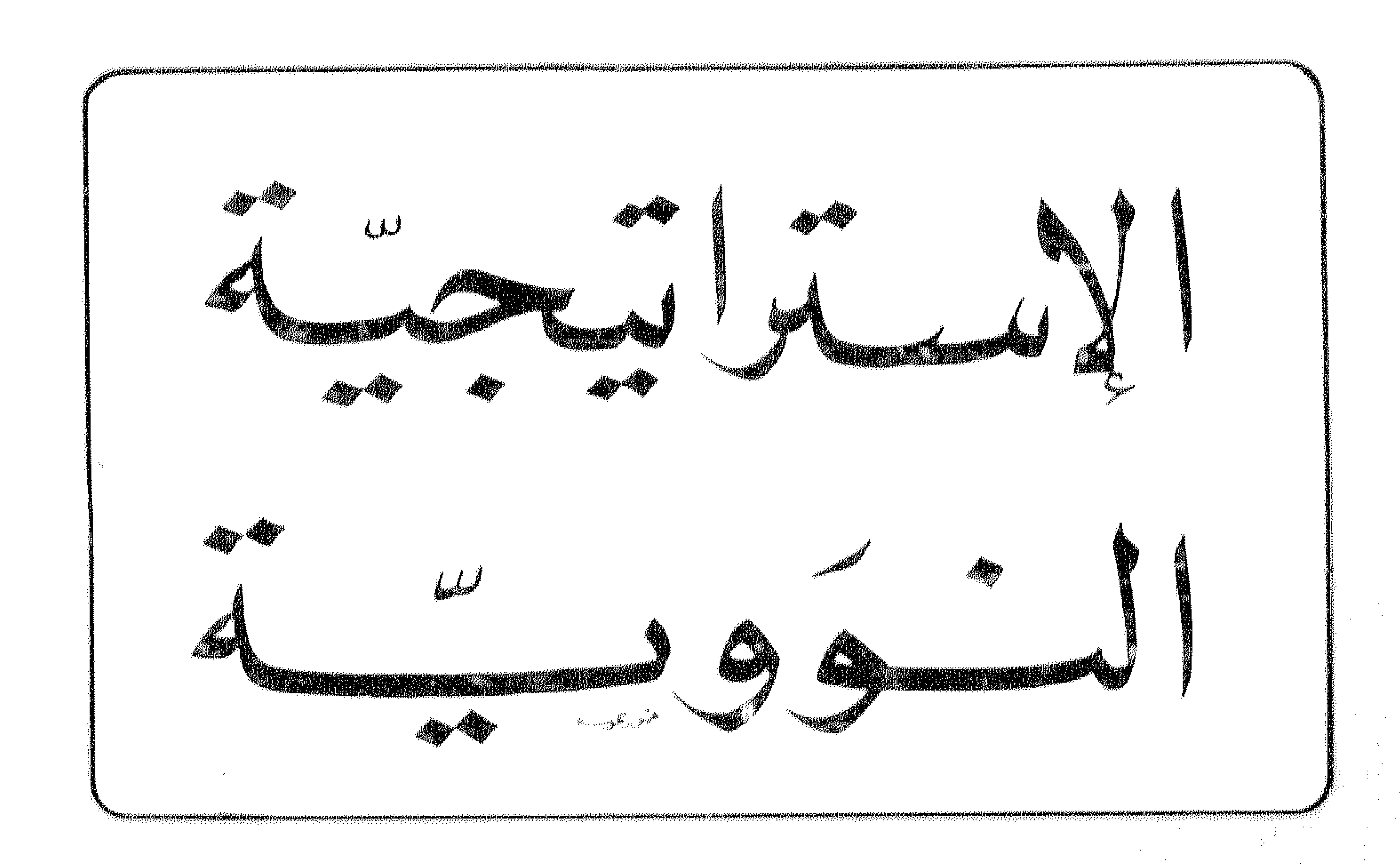
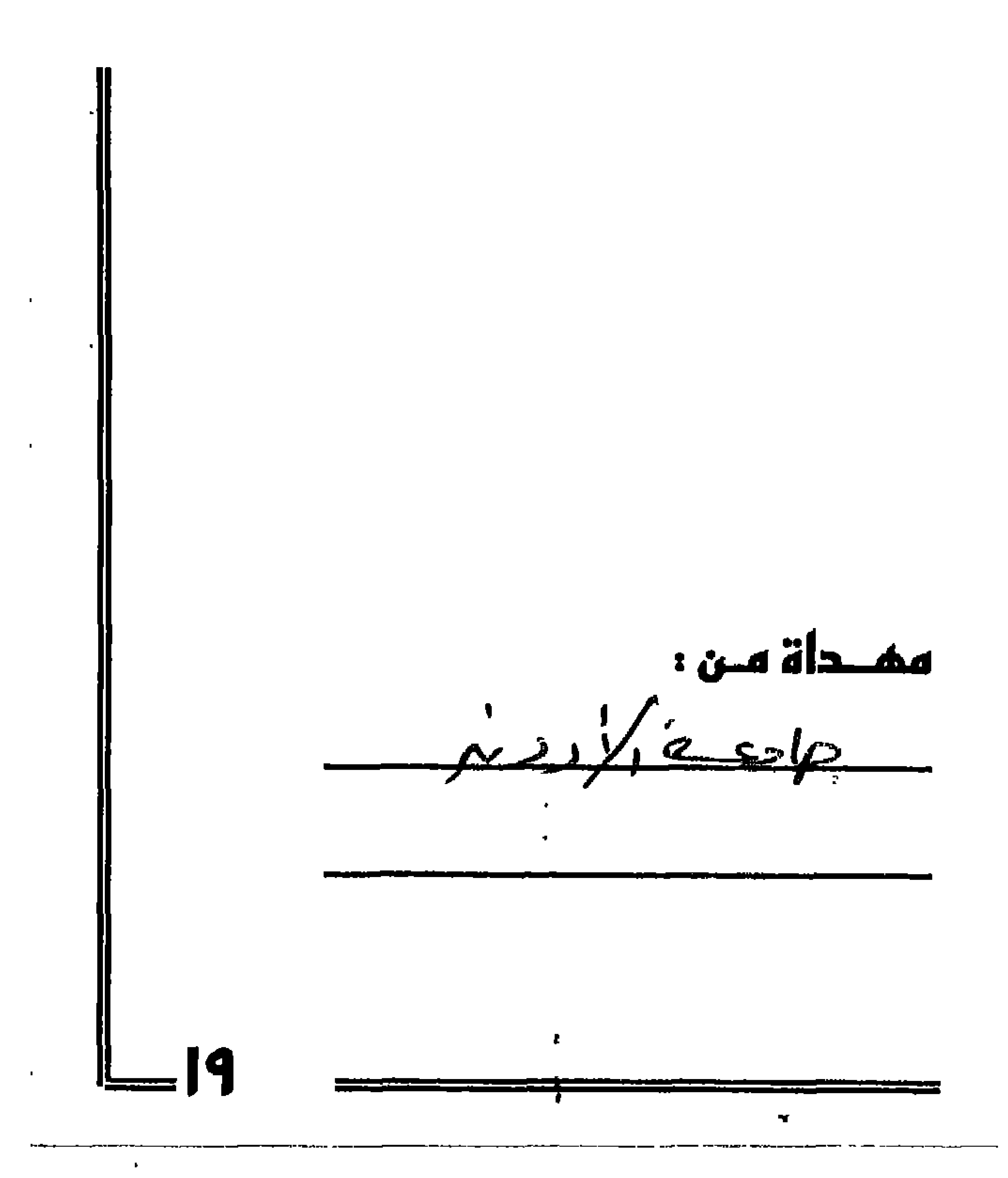
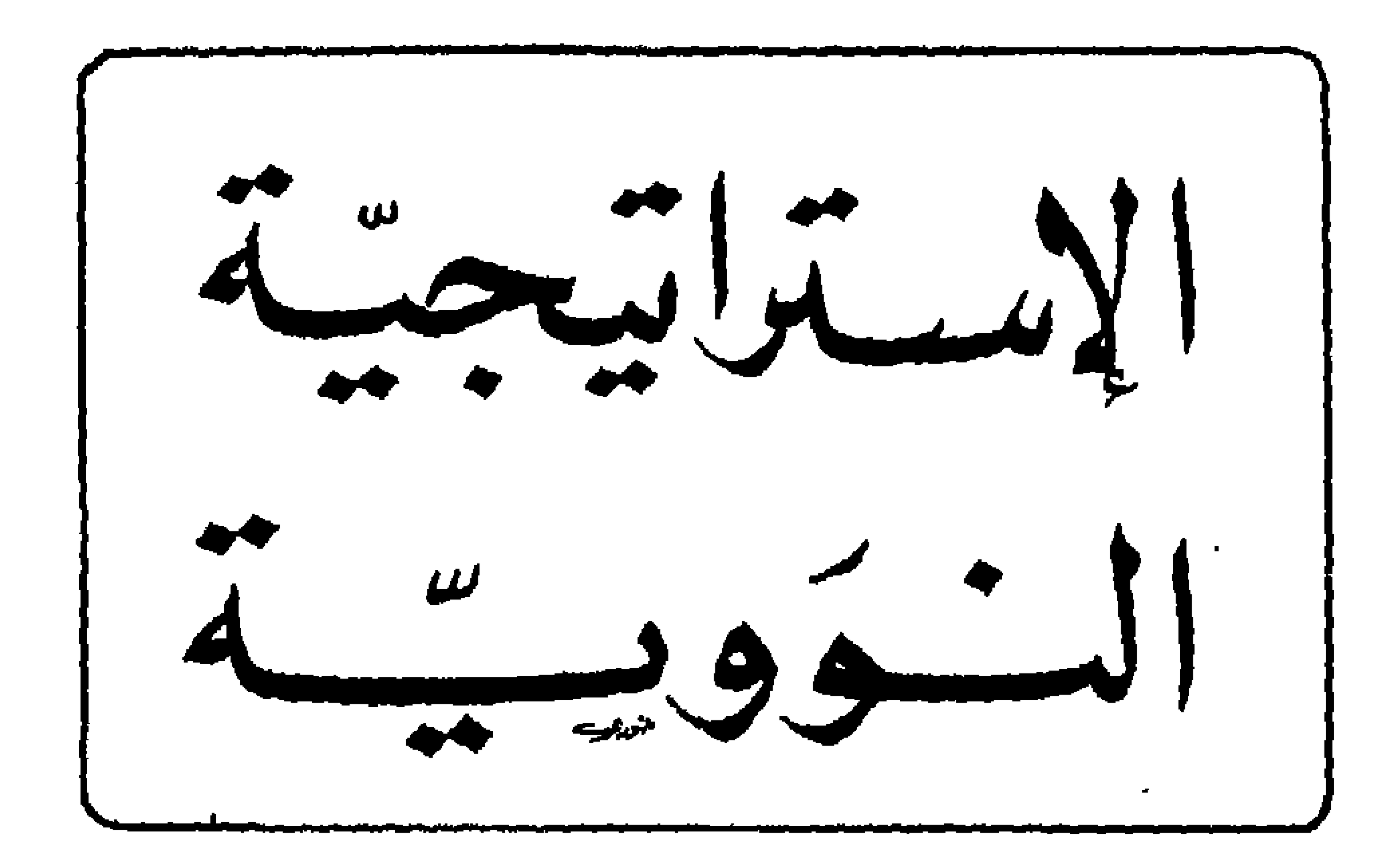


اللّواء الركن المتقاعد
يوسف كعوش


مهداة من :
جامعة الأردن
19



اللّواء الركن المتقاعد
يوسُف كعوش

أبحـاث الكتـــاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة

الاستراتيجية علم وفن .. اشتُقت اصولها واستُخلصت قواعدها من خبـرة الماضي وتجارب الحروب .. وتنشأ الافكار الاستراتيجية الجديدة تبعاً لتغير أشكال الصراع ... وقد تأثرت الحروب بعدة عوامل أهمها التطورات الفنية في الاسلحة والمعدات .. وما يقدمه العلم كل يوم من اسلحة جديدة .. مما يجعل تغير الاساليب المستخدمة في القتال أمراً جوهرياً .

ان الأسلحة النووية هي أهم تطور فني ظهر في وسائل الحرب في العصر الحديث .... لذلك أصبحت العنصر الرئيسي في الدراسات الاستراتيجية .. نظراً لقدرتها على التدمير بحيث فاقت كل ما عرفه الانسان من وسائل الحرب .. فصارت أهم العوامل التي تطور أشكال الصراع .... لما تهييء من وسائل القوة وما تتطلب من توفير الحماية منها والوقاية من اضرارها .. مما جعل القادة والساسة يندفعون الى الإهتمام بأثر استخدام الاسلحة النووية على مفاهيم الحرب والسلام .. والاقتصاد والسياسة .. والعلاقات الدولية .

والاستراتيجية ليست فكرة أو تخطيطاً يجيء وقت الحرب .. وهي قطعاً لا ترسم في حالة الحرب .. وانما هي عمل نتيجة دراسات طويلة تسبق الحرب بأمد طويل .. وتجري مراجعتها اذا اقتضى الأمر لمجابهة الظروف الطارئة الجديدة في الحرب أو للتوافق مع استراتيجيات دول متحالفة . ويمكن تعريف الاستراتيجية في عالم اليوم بأنها « فن السيطرة على كل موارد الأمة واتحاد الأمم بما فيها القوات المسلحة .. ثم استخدام هذا كله الى غاية ما يمكن وفي اكمل صور الاستخدام » .

ويعتمد التخطيط الاستراتيجي على الإلمام الواسع والمستمر بالتطورات التي تحدث

لمجابهة التقدم العلمي والصناعي .. وضرورة السيطرة على الأحداث .. ووضع الحلول الجذرية للمشاكل التي قد تواجه الأمة في الصراع .. لتجنب المفاجأة بدلا من الوقوع تحت رحمتها .. ولن يؤدي التفوق الفني في معدات القتال وأساليبه الى النجاح الا اذا استخدم طبقاً لاستراتيجية صحيحة .. فبالرغم من امتلاك الولايات المتحدة الامريكية للأسلحة النووية والقدرة التقنية العظيمة إلا انها لم تتمكن من احراز النصر في فيتنام .

أخي القارىء : ان هذا الكتاب دراسة عن الاستراتيجية النووية التي ظهرت نتيجة استخدام أقوى سلاح عرفه التاريخ .. فقد انتهى امتياز البارود ودخل الانسان العصر النووي بعد هيروشيا عام ١٩٤٥ وقد شرحت ذلك في الفصل الاول .. ثم ظهور وبناء الاستراتيجية النووية للدول العظمى وانواع الاستراتيجية المختلفة التي جرى تبنيها .. وهذه مبينة في الفصول من الثاني الى الخامس .. واختص الفصل السادس بالاستراتيجية الامريكية الحالية .. والفصل السابع بالاستراتيجية السوفيتية .. اما الفصل الاخير فقد اشتمل على استراتيجيات قوى كبرى أخرى هي : بريطانيا ، وفرنسا والصين الشعبية

آمل أن أكون قد قدمت خدمة تنير الطريق لبني قومي .. والله من وراء القصد .

اللواء الركن المتقاعد
يوسف كعـوش

كانون الثاني ١٩٨٢ م .

الفصل الأول

العصـر النــووي

دخل البارود الى أوروبا عن طريق العرب في القرن الرابع عشر الميلادي .. واخذ استخدامه ينتشر ويحدث تحولات في فن الحرب والتعبية .. ومع نهاية القرن الخامس عشر الميلادي حدثت تغيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية .. مع ظهور التطور الصناعي والفني والعلمي مقروناً بتباشير عصر النهضة .. وأدى ذلك الى تطور المدفعية .. وقد طور الأتراك مدفعية الحصار في القرن السادس عشر .. وادخلوا إصلاحات في تنظيم الجيوش وأساليب الحرب .. ولكن لم يحصل تقدم في الفكر الاستراتيجي يتناسب مع التطورات الجديدة .. حيث كان القتال مقصورا على الجيوش المحترفة .. يقودها الملوك والأمراء وبقيت المجتمعات بعيدة عن المشاركة الفعلية .

استمر التطور والتحسين على الاسلحة النارية والاستفادة من التفجير الكيميائي الكلاسيكي .. واكتشاف مواد أشد قوة وتدميراً خلال القرون الستة الماضية كان أقواها الديناميت وال ت.ن.ت واتصفت هذه القرون بحروب مستمرة .. وفي الفترة الواقعة بين عام ١٤٨٢ وعام ١٩٤١ بلغ عدد الحروب ٢٧٨ حرباً .. إلا ان امتياز البارود قد انتهى مع هيروشيما عام ١٩٤٥ عندما وقع التفجير الذري الأول في الحرب على السكان المدنيين .

في عام ١٩٤٤ أثناء الحرب العالمية الثانية قام سلاح الطيران الملكي البريطاني بالقاء قنابل عملاقة ذات ضغط انفجاري كبير سميت « فولكينو » أي البركان .. تزن الواحدة منها عشرة اطنان ، وتحتوي على ستة اطنان من ال « ت.ن.ت » وتدمر مساحة قدرها ٣٠ الى ٤٠٫٠٠٠ مترا مربعاً من الابنية في مدينة كبيرة مثل برلين أو هامبورغ . بعد هذا بأقل من سنة ألقت القاذفة الأميركية ذات الأربعة محركات « انولا ـ غاي » قنبلتها الذرية على

مدينة هيروشيما .

تم تحطيم الذرة لأول مرة عام ١٩٣٩ .. وكانت هذه الخطوة الأولى نحو تفهم الانسان ماهية انتظام الكون .. واشتغل علماء في دراسة الطبيعة النووية لسنوات طويلة .. ومن المعروف ان العلماء الألمان كانوا يعملون على انتاج قنبلة ذرية عام ١٩٤٠ مما جعل العلماء الامريكيين والبريطانيين يضاعفون جهودهم للإسراع بعملهم الذي كان يجري في سرية تامة لانتاج القنبلة الذرية .. حيث ان انتاج هذه القنبلة كان سيؤدي الى تفوق طرف على آخر في الحرب العالمية الثانية .

وقد ركز الحلفاء استراتيجيتهم في الحرب العالمية الثانية على هزيمة المانيا اولاً .. ومن ثم التفرغ لليابان .. وبتاريخ ٨ أيار ١٩٤٥ استسلمت المانيا وبذلك انتهت الحرب في اوروبا .

جرت تجربة القنبلة الذرية الاولى في ١٦ تموز ١٩٤٥ في صحراء نيومكسيكو في الولايات المتحدة الامريكية ولم تكن ناجحة تماماً .. وأما القنبلة الثانية التي تم صنعها فقد أسقطت على مدينة هيروشيما في اليابان يوم ٦ آب ١٩٤٥ وكانت قوتها تعادل عشرين الف طن من المتفجرات العادية .. ومسحت عشرة أميال مربعة من المدينة .. وفي يوم ٩ آب ١٩٤٥ أسقطت القنبلة الثانية على مدينة نجازاكي فاستسلمت اليابان وانتهت الحرب العالمية الثانية يوم ١٤ آب ١٩٤٥ .

كانت الاصابات في البشر حسب التفاصيل التالية :

أ . مدينة هيروشيما : أسقطت عليها قنبلة ذرية من عيار ٢٠ كيلو طن

عدد السكان	٣٠٠ الف نسمة
عدد القتلى	٩٢ ألفاً
جرحى خطرون	٨٤ ألفاً
جرحى غير خطرين	١٢٤ ألفاً

ب . مدينة نجازاكي : أُسقطت عليها قنبلة ذرية من عيار ١٧ كيلو طن .

عدد السكان	٨٧ ألف نسمة
عدد القتلى	٢٩ ألفاً
عدد الجرحى	٤١ ألفاً

ورغم فظاعة القنابل الذرية والهيدروجينية فانها تمثل تجارب هائلة في سبيل اطلاق الطاقة الرهيبة التي تربط جزيئات بعضها ببعض .. وتحطيم الذرات في انفجار قنبلة ذرية يعطي طاقة .. اما إعادة ربط هذه الجزيئات ببعضها بواسطة التسخين فينتج عنه اطلاق طاقة اكبر من تلك بكثير وهذا هو الحال في القنبلة الهيدروجينية .. لذلك فان القنبلة الذرية عبارة عن تحطيم .. بينما القنبلة الهيدروجينية عبارة عن ربط .. وما يحصل في الأولى يدعى انشطاراً وما يحدث في الثانية يدعى انصهاراً .

في شهر أيار عام ١٩٤٨ جرت تجربة ذرية في أمريكا ، لقنبلة تجاوزت قدرتها القنبلة التي سبقتها بستة أضعاف أي ١٢٠ كيلو طن ، وفي شهر تشرين الثاني من عام ١٩٥٢ ، قامت لجنة الطاقة الذرية الأمريكية بتفجير حشوة تستمد قدرتها من إنصهار الذرات الخفيفة وليس من تحطيم الذرات الثقيلة ، وقد أشيع آنذاك ان قدرة هذه القذيفة تتراوح بين ٣ ـ ٥ مليون طن من مادة ال « ت.ن.ت » أو ٣ ـ ٥ ميغاطن ، وانها تستطيع إذا ألقيت على منطقة آهلة واسعة .. أن تدمر كل شيء ضمن مساحة قدرها ٥٠٠ ـ ٦٠٠ كيلو متراً مربعاً .

ثم بعد ذلك بسنتين جاء الانفجار الهائل في اليوم الأول من آذار ١٩٥٤ بتفجير القنبلة الهيدروجينية ، وكانت الطاقة التي انطلقت في جزء من الثانية قد تجاوزت مجموع الطاقة التي لزمت طيلة الحرب العالمية الثانية .. لإزهاق ما يقرب من ثلاثين مليونا من البشر . لذلك فان تجميع مثل هذه القدرة التدميرية الهائلة في المكان والزمان .. لا يمكن أن تقتصر نتائجه على تبديل مبادىء الحرب وقواعد الاستراتيجية التي عرفها الانسان من تجارب

الحروب الماضية .. وانما تتعداه الى نتائج متعددة وأبعاد مختلفة .. ومفاهيم جديدة .

وفي بداية الأمر .. لم ير العالم في الظاهرة النووية .. باستثناء حفنة من الناس .. سوى قطاعاً هاماً في هذا النمو المنتظم لقدرة وسائط القتال الذي عوده عليه التاريخ .. ويُعود سبب ذلك الى السرعة التي وجد الفيزيائيون انفسهم مدفوعين اليها بتسارع وتوالي الاكتشافات .. لدرجة اصبحت معها حقيقة اليوم تُكذّب حقيقة الأمس قبل ان يتوصل الناس الى فهمها .. كذلك أضحى المدركون انفسهم يلهثون تعباً بسبب عجزهم عن اللحاق بالركب ... فخلال فترة لم تتجاوز العشر سنوات .. ازدادت القدرة التدميرية للمقذوف المتفجر الواحد حتى بلغت ٣٫٠٠٠ مثلاً ، ثم وصلت أخيراً بمجموعها الى مليونين .. كما ارتفع نصف قطر التدمير الناتج من تأثير العصف فقط وذلك تسهيلاً للمقارنة ـ ارتفع من ١٢٠ متراً الى ٢٢٠٠ متراً في باديء الأمر ، ثم انتقل الى ١٨ كيلومترا فيما بعد .. وارتفعت المساحات الخطرة من بضع مئات الأمتار المربعة في عهد ال « ت.ن.ت » الى ١٥ كيلومتراً مربعاً مع المقذوف الانشطاري .. والى أكثر من ١٥٠٠ كيلومتراً مربعاً مع المقذوف الانصهاري .. ويتضح من ذلك ان القدرة التدميرية للحشوة الواحدة من الآن فصاعداً تتجاوز حدود أكبر أماكن التجمعات السكانية وتستطيع ازالتها من الوجود .. وهذه القدرة المدمرة الهائلة هي التي قلبت رأساً على عقب كلاً من شروط الحرب والسلم .. كما قلبت عقائد فن الحرب ومفاهيم الاستراتيجية وقواعدها .

ان نصف القدرة التي تنطلق من جراء انقسام الذرة تكفي بتأثير العصف ، لإحداث هذه الخسائر الفادحة ، ونصف القدرة هذا يساوي ٥٠٪ ، ويبقى ٣٥٪ على شكل اشعاع حراري .. و ١٥٪ على شكل إشعاع نووي .

ظواهر الانفجار النووي

ان من ظواهر الانفجار النووي العصف وهو عبارة عن هزة آلية نتيجة الضغط المفاجيء الذي ينطلق للخارج من نقطة الانفجار .. ويسبب تمدد الهواء بشكل مفاجيء مما

يحدث رياحاً شديدة جداً وضغطاً كبيراً يمزق ما حوله ويهدم البنايات ويقذف بالأجسام الصلبة بعيداً .

ويصدر عن الانفجار النووي عادة نوعان من الموجات الحرارية الأولى قصيرة جداً وتساوي عشر الثانية اذا كان الانشطار لمتفجر من عيار ميغاطن واحد ، ويبدد هذا النوع ١٪ فقط من الاشعاع الحراري ويضيع في الجو .. لذلك فان تأثيره ضعيف .. أما الثانية فتدوم عدة ثوان .. وتنتشر ٩٩٪ من الحرارة . ولها تأثير تدميري كبير ، يصل الى درجة احداث الحروق من الدرجة الأولى على مسافة ٢٠ كيلومتراً من نقطة الانفجار .. لقنبلة من عيار ميغاطن واحد .. أما اذا كانت القنبلة من عيار ٢٠ ميغاطن .. فانه يخلف حروقاً من الدرجة الثانية على مسافة ٤٠ كيلومتراً ، وتلتهب المواد السهلة الاشتعال ، كالخشب غير المدهون والورق حتى مسافة ٥٠ كيلومترا .

ثم ظاهرة ارسال الاشعاعات حيث ينتج عن الانفجار النووي سيل من الجزيئات المشعة مثل النيوترونات ، وأشعة ألفا وبيتا وجاما ، ومنذ اكتشاف أشعة (إكس) والاشعاعات الذرية في نهاية القرن الماضي .. ادركنا ان اشعة غاما والنيوترونات واجزاء أشعة ألفا وبيتا تستطيع تدمير الخلايا الحية .. وترتبط النتائج المدمرة بالجرعة الممتصة وشروط الامتصاص في آن واحد أي « قوة الاشعاع ومدته ومساحة المنطقة الموبوءة » .

وتكون جرعة الاشعاع الكبيرة مميتة اذا وقعت دفعة واحدة على مجموع سطح الجسم .. اما اذا وقعت مجزأة وخلال مدة طويلة .. فانها تصبح سهلة الاحتمال .. اذا كانت قيمة التعرض ضعيفة فان الجسم يشكل خلايا جديدة حية تحل محل الخلايا التي تم تدميرها ، كذلك اذا اصابت الاشعاعات قسماً من الجسم فقط ، عندئذ يساهم الجزء غير المصاب في شفاء الجزء المصاب .

تكون الاشعاعات خلال الدقيقة الأولى التي تلي الانفجار مؤلفة بصورة رئيسية من أشعة غاما والنيوترونات أما جزئيات أشعة ألفا وبيتا فهي ذات مدى قصير جداً يقاس

بالسنتيمترات ، ولها مقدرة بسيطة على الاختراق ، وليس لها أي تأثير مباشر ، الا اذا تعرض الجلد لها بشكل ملامس او استنشقت ، ان أشعة غاما والنيوترونات ذات مدى بعيد ، وتسافر مسافات كافية بحيث تحدث اصابات ولها قوة اختراقية كبيرة . وللاشعاع الأولي تأثير كبير على الجسم ، فعلى مسافة ٩٠٠ م من انفجار جوي على غرار انفجار نجازاكي ، يتعرض نصف الأشخاص غير الملتجئين او المحميين فقط بجدار اسمنتي سماكته ٤٠ سم الى الموت المحقق ، واذا كانت قوة الانفجار اكبر من ذلك بخمسين مرة أي واحد ميغاطن ، فإن التأثير نفسه يمتد الى اكثر من ١٦٠٠ م . أما اذا كان الانفجار الحراري النووي بقوة ١٠ ميغاطن (عشر ملايين طن) فانه يرسل اشعاعات أولية على درجة كافية من القوة حتى مسافة ٣٥٠٠ م تقريبا ، وتصبح الجرعة مميتة ، وفي هذه الحالة فان تأثير العصف والحرارة هو أكبر من ذلك بكثير .

يدوم الاشعاع الأولي دقيقة واحدة ، ثم يعقبه ما يسمى بالاشعاع المتخلف الذي ينتج عن حصيلة الانشطار النووي ، فتعطي كل ذرة منقسمة عناصر مشعة تتوقف أهميتها على القدرة التي ولدها الانفجار ، وهذه العناصر عديدة وتخلف مركبات معقدة تنتشر في الفضاء وفقاً لقوة الانفجار وشروطه ، وان تفجير حشوة قوية تزيد عن ميغاطن واحد يجري تفجيرها بالارتفاع ، فانها ترسل ٢٥٪ من ناتج الانشطار في الطبقة الهوائية المحيطة مباشرة بالارض (تروبوسفير) و٧٥٪ في الطبقة التي تليها « ستراتوسفير » وعلى العكس من ذلك فإن تفجير حشوة ذات قوة ضعيفة او متوسطة على سطح الارض من عيار ١٠ أو ١٠٠ أو ١٥٠ كيلو طن ، فانها ترسل في الفضاء كمية كبيرة من الحطام الإشعاعي ويسقط أكثرها ثقلاً بالقرب من منطقة الانفجار ، أما الباقي فيبقى فترة في الفضاء ، ثم يسقط بعد الانفجار بعدة أيام أو عدة اسابيع ، تبعاً لزيادة سرعة السقوط من جراء المطر أو الثلج أو يسقط على الارض بفعل الجاذبية فقط ، وحدوث الانفجار على سطح الأرض يجعل كميات هائلة من الصخور والحطام تتبخر بتأثير الكرة النارية ، وتختلط بشظايا القنبلة نفسها ، ثم يسقط قسم منها على الأرض حول منطقة الانفجار ، أما العناصر

الأخف وزنا فتحملها تيارات الهواء الساخن الصاعدة الى آرتفاعات عالية جداً ، حيث تمكث عدة أشهر أو عدة سنين ، ثم تتساقط على منطقة واسعة من الأرض . وقد أثار هذا الموضوع بالذات خلافات حادة ومناقشات طويلة ، ولم يتفق الفيزيائيون مطلقاً حول طبيعة ومدى الأضرار التي يمكن أن يسببها للبشرية ، وهذا ما يبرر بطبيعة الحال الحملة العنيفة التي يشنها البعض ضد التسلح الذري .

خلال شهر حزيران ١٩٥٩ قام مجلس النواب الامريكي بدراسة تقرير رفعته لجنة فرعية خاصة منبثقة عن لجنة الطاقة الذرية يتعلق بتقدير النتائج التي يمكن أن تنجم عن أي هجوم نووي على الولايات المتحدة الامريكية ، وقد قدر الخبراء بأن كل انفجار على سطح الأرض لحشوة من عيار ١٠ ميغاطن يلوث منطقة مساحتها ٦٥٠٠ كيلومتراً مربعاً ، وان التساقطات المحلية تكون على درجة من القوة تكفي معها لاصابة جميع العناصر غير الملتجئة اصابات بالغة وقتل نصفهم على الأقل ، وقد قدر الخبراء عدد القذائف التي ستنهال على الولايات المتحدة بـ٢٦٣ قذيفة من عيار ١ ـ ١٠ ميغاطن سوف تنفجر على سطح الأرض أو قريباً منه ، وانه بعد الهجوم بيومين سوف يتلوث ما يقارب ٤٦٪ من الأرض الامريكية تلوثاً خفيفاً ، ثم لا تلبث هذه النسبة ان تنزل الى ١٥٪ بعد أسبوعين من الهجوم ، إلا أن ٥٠٪ على الأقل من السكان سيكونوا قد أصيبوا أو تلوثوا لدرجة يصبحون معها عاجزين عن العمل خلال عدة أشهر ، كما أن من بين الخمسين مليون أمريكي الذين سيلاقون حتفهم بعد هذا الهجوم ، نسبة ٢٥٪ يموتون من الاشعاع ، بينما يموت الباقون من العصف والحرارة .

والشيء الخطير هو ان رواسب الـ (سترونتيوم ٩٠) الناتج عن انقسام الذرة تعيش طويلاً ، كما ان قربه من خواص الكالسيوم من حيث الخواص الكيميائية تجعله سهل الامتصاص من قبل الانسان حيث يستقر في هيكله العظمي ويبث فيه السرطان ، وقد قدر العلماء بعد التجارب الذرية العديدة التي اجريت منذ عام ١٩٤٥ واستعمل فيها ما يقرب من ١٠٠ ميغاطن على سطح الكرة الأرضية ، فان التركيز الاقصى للسترونيتوم ٩٠

في الجسم البشري يجب ان يصل الى « ٥ ـ ١٠ ميكرو ـ ميكرو ـ كوري » في الغرام الواحد من الكالسيوم العظمي ، أي أقل من الجرعة الخطرة بمئة مرة ، والجرعة الخطرة محددة بـ (١ ـ ميكرو ـ كوري) .

بينما كان الفيزيائيون والفنيون الامريكيون والسوفيت على السواء يفجرون حشوات نووية تزداد قوتها وبظافتها يوماً بعد يوم ، كان هناك علماء آخرون في الذرة يبحثون عن أسلحة انشطارية ذات عيار متوسط وصغير ، وفي ٢٨ تشرين الاول من عام ١٩٥١ فجرت أول قنبلة ذات عيار صغير في مركز (نيفادا) للتجارب الذرية على مسافة ١٥٠ كيلومتراً من لاس فيجاس . واعتبرت هذه القنبلة سلاحاً تعبوياً ، وبعد ذلك بحوالي ست سنوات قامت سلسلة من التجارب مخصصة لدراسة شروط استخدام الحشوات المتفجرة ذات العيار الصغير .. وفي ٢ حزيران ١٩٥٧ ، تم تفجير حشوة من عيار ٤ كيلوطن ، وبعد ثلاثة أيام استطاع الخبراء تخفيض قوة الانفجار الى كيلوطن واحد ، وهكذا نجح العلماء في اضعاف قوة الحشوات الذرية واكانوا قد توصلوا قبل ذلك الى الإقلال من أبعادها وأوزانها أي تصغيرها الى الدرجة المطلوبة ، ويعود نجاح العلماء الاميركيين في التوصل الى الاسلحة الصغيرة ذات المفعول التدميري الهائل ، الى قدرتهم على الإقلال من المادة الانشطارية واستخدامهم الآلية الانفجارية الفعالة . وفي الواقع لم يستطع احد معرفة وزن وحجم القنابل التي اسقطت على كل من هيروشيما ونجازاكي ، ولكننا نعرف بأنها كانت تملأ الخزانات الواسعة للطائرة (بوينغ ب ـ ٢٩) ذات المحركات الأربعة التي قامت بنقلها آنذاك ، مما دعى الى الاعتقاد بأن وزنها كان في حدود أربعة أطنان .

وفي ٢٥ أيار ١٩٥٣ اعلنت الصحافة الامريكية عن اجراء اول رمي لقنبلة مدفعية ذرية ، ولم يحدد ما نشر قوة هذه القنبلة ، إلا أن تقدير ذلك لنطلاقاً من المدفع المستخدم وهو من عيار ٢٨٠ ملم جعل الاخصائيين يقدرون أن وزنها لا يمكن أن يزيد على ٣٠٠ كغم وطولها الأقصى ١٫٥ متراً ، وفي عام ١٩٥٧ قام سلاح الجو الامريكي بتفجير صاروخ جو/جو ذي حشوة ذرية وتقاس قوته بالكيلوطن .

وخلاصة القول ان اكتشاف المتفجر النووي المصغر قد قلب مفاهيم التعبية والاستراتيجية على حد سواء ، فقذيفة نووية من حجم صغير ووزن أقل من طن تستطيع أن تخلف دماراً اوسع مما يخلفه ما يحتويه مستودع متخم بقنابل الـ (ت.ن.ت) ويمكن حمل هذه القذيفة بواسطة الطائرة او الصاروخ ، وبهذا يتجاوز الهجوم جميع الاشكال الكلاسيكية للدفاع ، بعد ان اصبحت ممارسة سياسة دفاعية ، مبنية كالسابق على اسلحة واستراتيجية دفاعية ، تعني الخضوع المسبق لشروط الطرف المقابل ، دون الحاجة الى هدر الاموال وفقدان الرجال ، لذلك عكف الاخصائيون على دراسة الدفاع ضد الصواريخ ، فوجدوا انه قبل إيجاد جهاز دفاعي من الصواريخ المضادة تكون الصواريخ الهجومية قد تحسنت من حيث الدقة وسرعة الاختراق ، وربما تم تزويدها بالوسائط الكافية لاحباط الجهاز الدفاعي المعقد ، والصعب التحقيق ، وهكذا نجد أن المتفجر النووي المصغر قد عجل بتشكيل المخزون من الصواريخ ، كما بدل ميزان القوى بين الشرق والغرب ، بوضع الارض الامريكية لأول مرة على مدى الأسلحة الاستراتيجية السوفيتية .

وقد بدل اكتشاف المتفجر النووي المصغر معطيات كثيرة وقلبها رأساً على عقب ، ففي مجال القوة الجوية ، كان المعروف منذ ان خرج سلاح الجو الى الوجود ، أن الطائرات المطاردة متفوقة على القاذفات في السرعة والمناورة ، فالقاذفة مصممة على أساس المهمة التي توكل اليها . والتي تنحصر في نقل القنابل الضخمة والثقيلة الى مسافات بعيدة ، مما يؤدي بالضرورة الى تزويدها بمستودعات كبيرة للقنابل ، وخزانات ضخمة للوقود ، مما يجعلها أثقل من الطارة المطاردة وأقل سرعة . واخذت الدراسات والابحاث تزيد في سرعة الطائرة وتحسين أدائها ، فصارت الطائرات المطاردة وبعض القاذفات ذات سرعة ضعف سرعة الصوت أو أكثر وأسرع بما يزيد على ثلاث مرات بالنسبة لسرعة المطاردات التي أستخدمت في عامي ١٩٤٤ و١٩٤٥ ، كما وصلت سرعة بعض الطائرات الحديثة الى ثلاثة اضعاف سرعة الصوت ، وتستطيع القيام بطلعات استراتيجية تغطي عمليا نصف الكرة الشمالي بأكمله ، ويستمر البحث لزيادة السرعة ومدى العمل الى درجة خيالية .

وفي مجال الدفاع حلت الصواريخ تدريجياً محل الطائرات السريعة في التصدي للطائرات المعادية المهاجمة ، وأصبحت منظومة الصواريخ للدفاع الجوي مزودة بالحواسب وادوات التوجيه الآلية ، وتصيب أهدافها بدقة على ارتفاعات متفاوتة كما أن البحث مستمر للحصول على وسائل دفاعية أفضل .

وبالنسبة للدول التي تمتلك المتفجر النووي فقد أصبح الصاروخ المرتكز الأول في مجال الهجوم ، وكان السوفيت هم أول من بدأ بدراسة ذلك بعد الألمان ، حيث وجدوا بعد احتلالهم لألمانيا الشرقية أغلب مراكز البحوث والمختبرات التي كانت تقوم بدراسة الاسلحة الجديدة والتي عمدت القيادة الالمانية الى نقلها نحو الشرق لإبعادها عن خطر الهجمات الجوية البريطانية والامريكية .. وقد وجد السوفييت ان طيرانهم الاستراتيجي لم يعد كافيا مقابل العقيدة الهجومية التي تبنتها الولايات المتحدة الامريكية ، واصبح لزاماً عليهم ايجاد سلاح جديد لا يمكن مجابهته او التصدي له ، لذلك تم تحسين الصاروخ الالماني (ف/٢ 2 — v) ليصبح 1 — T ويبلغ مداه ٦٠٠ كيلو متراً وقد زود رأسه بحشوة ذرية . وبعد عام ١٩٥٥ اخترع السوفييت أنواعاً أخرى من الصواريخ ذات مديات مختلفة منها القصير والمتوسط والبعيد العابر للقارات ولغاية ١٠٫٠٠٠ كم ، وكذلك فعل الامريكيون من جهتهم وصنعوا مجموعات من الصواريخ المتطورة والاستراتيجية ذات المدى المتنوع تبعا للحاجة الميدانية والاستراتيجية ويتراوح مدى الصواريخ بين ٨ ـ ١٠٫٠٠٠ كم ، وكذلك تقدم الانكليز والفرنسيون والصينيون في هذا المضمار ، ويمكن للصواريخ الاستراتيجية الآن ان تصيب اية نقطة على سطح الكرة الأرضية ، وجميعها مزودة برؤوس نووية ذات قدرات مختلفة تتراوح من ميغاطن واحد فما فوق ، مع دقة عالية في الرمي واصابة المنطقة المطلوبة ، واتخذت جميع الاطراف تدابير حماية منظومات صواريخها وتوزيعها على الأرض والبحار ، واستعدادها للجاهزية والعمل من هذه المواقع وكذلك استخدام الفضاء .

وخلاصة القول ان مجموعة رهيبة من الأسلحة النووية ظهرت الى الوجود منذ ضرب هيروشيما حتى الآن ، وقام العلماء والقادة العسكريون والمنظرون بدراسة الطابع المحتمل

للحرب القادمة ، ووضع تصورات للشكل الممكن ان تتخذه الحرب باستخدام هذه السلسلة الرهيبة من وسائل التدمير ، وخرجوا بأرقام مذهلة عن الخسائر المقدرة في الجانبين في تمارين صورية حددت فيها القذائف المتبادلة ولم يخطر ببال احد هول الدمار اذا انطلقت الاسلحة المتيسرة دون تحديد . ومن المعروف ان أي صراع نووي بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي سيكون شبه مميت للطرفين معاً ، دون أن يؤدي ذلك الى فناء الجنس البشري ، ولكن التدمير سيكون بلا حدود ، ولا شك انه سيكون (بلا مثيل) . وهذا يعني ان الخلاف يصبح بلا معنى اذا قيس بالعواقب الوخيمة التي ستنجم عنه ، لقد كان اللجوء الى القوة يعتبر تدبيراً ذكياً في الماضي ، يعود على الطرف الذي يستخدمه بأرباح تغطي التكاليف وربما تفوقها ، اما من الآن فصاعدا ، فلم يعد الأمر كذلك ، اذ أصبحت الخسارة في جميع الحالات اكبر من الفائدة ولم تعد الحرب سوى رهان خاسر .

وهذا الوضع لن يحول دون دراسة وتخطيط هجوم نووي واسع النطاق ، يهدف الي تدمير الخصم وإبادته ، فاذا كان هذا الخصم نفسه غير مسلح نووياً ، فلن يكون أمامه من حل سوى تقبل شروط الأقوى . وفي هذه الحالة لن يكون هناك تبادل ضربات ، أما اذا كان السلاح النووي بيد الطرفين ، فان إتساع الدمار سوف يشل ارادة المقاومة لدى المحاربين قبل ان يتعرض مصير البشرية للخطر .

كانت حروب الماضي تسبقها فترة تسلح ، تكرس الصناعات خلالها للمجهود الحربي وتكديس مواد الحرب ، وقرع طبولها بالمناورات الواسعة النطاق ، فيتمكن البلد المهدد والمقصود من اكتشافها في الوقت المناسب ، فيتحرك لمجابهة الخطر بحشد قواه وقدراته التي ربما تمكنه من اجراء المفاوضات على اساس الند للند ، او قبول التحدي وخوض الصراع المسلح أملاً في الحصول على النصر ، او جعل العدو يدفع ثمناً غالياً لانتصاره ، وغالباً ما كان يسبق الصراع اعلان التعبئة العامة بين الطرفين ، وكان الوقت يسمح بالانتقال من حالة السلم الى حالة الحرب .

أما اليوم فان مراحل الانتقال التدريجي من السلم الى الحرب قد ألغيت تماما ، وأصبح باستطاعة الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي ان يوجه كل منهما للآخر خلال ساعات ، من الضربات العنيفة ما يغني عن القتال دون ان يستخدم لذلك سوى نسبة ضئيلة جداً من قواته المسلحة ، وعليه فان عوامل الهجوم المفاجيء وشروطه أصبحت متوفرة الى أبعد الحدود ، وخاصة من جانب الاتحاد السوفيتي بسبب الاغلاق المحكم لأراضيه ، الأمر الذي يصعب معه على الولايات المتحدة الامريكية تلقي الانذار الا عندما تعلن اجهزة المراقبة والانذار ظهور طائرات أو صواريخ معادية في الفضاء ، وان مجرد قدرة المعتدي على الانتقال للهجوم دون سابق انذار ، قد بدل كل شيء ونتيجة لذلك تستحيل التعبئة البشرية والصناعية ويتأثر دور الاحتياطات ، والوقت اللازم لحشد قوى الامة التي ستجد نفسها فجأة في آتونها وما يسبب ذلك من الارتباك للانتقال الفجائي الى حالة الحرب والتكيف معها ، وتنخفض فعالية الدفاع الجوي بتدمير قسم كبير منه مع تدمير نسبة من القوات والقدرات العسكرية قبل زجها في المعركة . والعلاج الوحيد لهذه الحالة هو الجيش العامل والاستعداد الدائم لتلقي هذا الشكل من الحروب المباغتة ، وتكون القوات في حالة استنفار دائم وعلى نفس الدرجة من الجاهزية القتالية التي تكون عليها قوات المعتدي يوم بدء العدوان .

ان البلد او الحلف ـ الذي يمارس سياسة دفاعية بحتة ، يجعل من نفسه عرضة للهجوم المفاجيء ، كما انه لا يستطيع القيام بأي رد فعل إلا بعد أن يكون قد تلقى الصدمة الأولى التي يحتمل ان تكون قاضية ، لذلك فقد أملى هذا الوضع على كل طرف ان يقوم باتخاذ التدابير التي من شأنها ردع العدوان ، والحيلولة دون لجوء الخصم الى القوة ، وذلك بأن يبرهن له مسبقاً بأنه عاجز عن تدمير الوسائط الانتقامية خلال ضربته الأولى ، وانه سيكون بالتالي عرضة لانتقامها لا محالة . وبهذا يضاف الى عنصر « المفاجأة » و « الزمن المحدود » في الحرب النووية عنصراً جديداً آخر هو (عنصر المجازفة) .

مما تقدم في هذا الفصل نجد ان المنطق البسيط المستند الى المعلومات الفنية ، يكفي

لاستبعاد احتمال الحرب الحرارية النووية العامة ، على شرط ان يفرض السلام بالتهديد ، وهذه الاستحالة تبقي المجال مفتوحاً على نطاق واسع للحروب المحلية والحروب الصغيرة المحدودة بالاسلحة التقليدية ، تدفع اليها وتغذيها القوى الكبرى ، بواسطة الامم والدول الصغرى التي تتفق مصالحها مع مصالح تلك الدول ، شريطة ان يكون مسيطراً على هذه الحروب حتى لا تصل الى حد تورط الدول الكبرى في حرب نووية ، وغالباً ما تشد القوى الكبرى خيوط هذه الصراعات فيما بينها بتنسيق حتى لا تفلت من دائرة السيطرة .

ان هذا التحليل السريع يؤكد بما لا يقبل الشك عدداً من النقاط تبدو متناقضة للوهلة الأولى وهي :

أ ـ ان المبادأة بعدوان نووي أصعب بكثير من اجبار الخصم على العدول عنه ، كما يتطلب امكانات اضخم ووسائط أكبر .

ب ـ على الطرف الذي يعتمد سياسة الدفاع ان يحتفظ بقواته في حالة انذار دائم ، كما يجب عليه بسبب خوفه من عدوان مفاجيء ان يحتفظ بصواريخه الانتقامية بمنأى من التدمير ، وهذا يعني ان على من يلتزم الدفاع ، بذل مجهود حربي أكبر ممن يلتزم الهجوم .

ج ـ وأخيراً يمكن القول بأنه ما من نظرية مرضية تخرج الى الوجود في مجال الحيطة والأمن ، حتى يبدأ تطور الأسلحة بالاقلال من قيمتها ، لقد كانت الاحلاف في بعض الأوقات تشكل قوة كافية لفرض احترامها ، اما اليوم فان السلاح النووي بشروط استخدامه المحتملة يوشك ان يشوه هذه النظرية .

ميزان القوة التقليدية بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي
« ١٩٨٠/١/١ »

السلاح	الولايات المتحدة	الاتحاد السوفيتي
سفينة حربية رئيسية	١٩١	٢٧١
غواصة	١٤	٢٠٠
حاملة طائرات	١٤	لا شيء
دبابة متوسطة	١٣٫٠٠٠	٤٢٫٠٠٠
طائرة مقاتلة	٥٫٥٠٠	٥٫١٥٠
طائرة هليكوبتر	٩٫٤٠٠	٧٫٨٠٠

ميزان القوة النووية الاستراتيجية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي
« ١٩٨١/١/١ »

السلاح	الولايات المتحدة	الاتحاد السوفيتي
صواريخ قذافية (بالستيكية) عابرة للقارات مداها اكثر من ٥٫٠٠٠ كم .	١٠٥٤	١٣٩٨
صواريخ قذافية (بالستيكية) تطلق من الغواصات مداها اكثر من ٥٫٠٠٠ كم	٦٥٦	٩٥٠
قاذفات قنابل استراتيجية	٥٧٣	١٥٦
مجمل الرؤوس النووية (انظر الملحوظة أدناه)	١٫٢٠٠	١٫٠٠٠

ملحوظة :

تملك الولايات المتحدة رؤوساً نووية استراتيجية اكثر من الاتحاد السوفياتي الا ان القوة التدميرية السوفياتية للرؤوس النووية مجتمعة هي أكبر من القوة التدميرية الأمريكية .

الفصل الثاني

الدول العظمى والاستراتيجية النووية

طبيعة السلاح النووي

تستعمل الأسلحة التقليدية للهجوم او الدفاع حسب متطلبات الحرب . اما السلاح النووي فهوذو طابع هجومي من الأساس ، مما افقده المرونة وافقد الدفاع في الحرب قيمة كبيرة .. وفقدت اجراءات الدفاع السلبي التي كانت تفيد عند استعمال القنابل الذرية ـ فقدت قيمتها مع اختراع القنابل النووية الحرارية . وعليه فقد سيطر السلاح النووي على أية استراتيجية بتصعيد المقدرة الهجومية .. وجعل الاسبقية للقوة النووية الضاربة .

ان الفريق بين الأسلحة النووية والاسلحة التقليدية كيفي وليس كميا .. وعند البحث في علاقة القنبلة الهيدروجينية بالحرب .. فلا بد من القول ان هذه القنبلة ليست مجرد سلاح آخر له قوة تدميرية اكبر .. فهناك الآن نظام لاطلاق الصواريخ التي تحمل القنبلةالى اي هدف في العالم وبسرعة تتزايد ابداً .. وهذا الارتباط المذهل بين قوة النيران وسرعة الحركة احدث ثورة في علم الحرب .. وهكذا ولت الأيام التي كان فيها العمل الهجومي للاستيلاء على هدف عسكري او تدميره يستغرق عدة اسابيع .. فاليوم تستطيع قنبلة هيدروجينية واحدة ان تقوم بهذه المهمة في جزء من الثانية . وبطبيعة الحال لم يتم القاء قنبلة هيدروجينية في زمن الحرب .. ولكن التجارب برهنت على ان قوتها شيء لايصدق .. فالوزن الكلي للقنابل التي القاها الحلفاء اثناء الحرب العالمية الثانية سواء في اوروبا او في المحيط الهادي هو ٣ر٥ مليون طن تقريبا .. واذا ترجيمنا هذا الرقم الى لغة العلم الذري فانه ـ يساوي ٣ر٥ ميغا طن ، اي اقل من القوة التفجيرية لقنبلة هيدروجينية متوسطة الحجم او رأس نووي في صاروخ . ويمكن لقنبلة نووية حرارية من عيار ميغا طن واحد ان تدمر مئات الاميال المربعة وتقضي على الحياة فيها . ومع وجود

الصاروخ عابر القارات يمكن ضرب اية نقطة على الكرة الارضية وبدقة متناهية جدا .. وكذلك الضرب بواسطة الأقمار الصناعية .. مما يعطي فكرة عن التغير الكيفي الـذي حدث . وبالرغم من ابتكار اسلحة نووية تعبوية لاستعمال القوات في الميدان في الهجوم او الدفاع .. فيبقى الطابع الجوهري الأساسي للسلاح النووي اي طابع الهجوم .

وقد اعطت الاسلحة النووية طابعا جديدا للاستراتيجية وتغييرات جوهرية على تسلسل التأثير المباشر للعمليات والتعبية .. فقد كانت الاستراتيجية في الماضي تحقق ـ اهدافها بواسطة القوات البرية والبحرية والجوية وتطرأ التغييرات على التعبية اولا ثم ينتقل أثرها الى الاستراتيجية .. اما في عصرنا الحاضر فقد ظهرت الأسلحة النووية كأسلحة استراتيجية فوزا بواسطة الصواريخ والآقمار الصناعية .. التي يمكن ان تحمل الرؤوس النووية وتحصل على نتائج حاسمة .. وهذا بدوره ادى الى اتباع الاستراتيجية المباشرة .

مراحل التسلح النووي في العالم .

يمكن تقسيم فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بالنسبة للتسلح النووي الى اربع مراحل بارزة هي :

١ . **المرحلة الأولى ـ** من عام ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩ : كانت الولايات المتحدة تحتكر السلاح النووي .. وتحمل الروس هيمنة الأمريكيين على السلاح النـووي لمدة اربع سنوات .. وهم يقومون بلعبة ذكية في الشرق لتحويل الصين الى معسكرهم .. ولكي يعوض الروس هذا النقص في التسلح .. كانت قواتهم البرية تتفوق على قوات الدول الغربية من حيث تعداد الفرق والاستعداد لخوض الحرب .. بل واجتياح دول اوروبا الغربية .. كان اتساع الأراضي الروسية وإرادة القتال لدى الروس عاملين أديابهم الى قبول مواجهة حرب ذرية وضرب بعض مدنهم على غرار هيروشيا ونجازاكي .. وإطالة امد الحرب وهم يسرعون الخطى للحصول على السلاح الذري .

يضاف الى ذلك ان الرأي العام العالمي كان ضد قيام حرب جديدة وخاصة في الدول

الغربية التي لم تضمد جراحها من الحرب العالمية الثانية . ولم يكن الغرب قد فهم واستوعب الظاهرة النووية استغلالها .. وصارت استراتيجية الولايات المتحدة في هذه المرحلة ترتكز على الأسس التالية :

أ . الاستعداد لامتلاك قوة كاسحة وقوة طيران ضخمة قادرة على خوض حرب نووية شاملة .

ب . إحاطة الاتحاد السوفياتي بسلسلة من الاحلاف والقواعد .

جـ . إحياء القوة العسكرية الألمانية وتعزيز القوات العسكرية في اوروبا الغربية .

وقد نجحت الولايات المتحدة في انقاذ ما كانت تعتبره حيويا ، والمعتقد ان السلاح النووي لو كان بيد الروس لاستطاعوا استغلاله بصورة افضل .

قام الروس بتفجير قنبلتهم الذرية الاولى في ايلول عام ١٩٤٩ ، الا ان مستودعهم النووي لم يشكل الا بعد ذلك بثلاث او اربع سنوات حيث صار له تأثيره العسكري والسياسي .. وعلى الرغم من احتكار الغرب للسلاح الذري طيلة هذه الفترة ، الا انه خسر الاشراف الذي كان يقوم به والتأثير الذي كان يمارسه بصورة مباشرة او غير مباشرة على ما يقرب من مليار شخص .. وهكذا كان العالم الشيوعي يكتسب اكثرية ساحقة الى جانبه .

وخلال هيمنة الامريكيين على السلاح النووي كانت استراتيجية الاتحاد السوفيتي ترتكز على الأسس التالية ؛

أ . الاسراع في امتلاك القنبلة الذرية .

ب . الابقاء على التفوق في القوات العسكرية التقليدية وتعزيز القوات الجوية والجاهزية القتالية .

جـ . تعبئة واكتساب الرأي العام العالمي تحت شعار المحافظة على السلم العالمي ..

د . استيعاب اي هجوم نووي اذا وقع ، والقدرة على الهجوم المضاد بالقوات التقليدية .

٢ . المرحلة الثانية ـ من عام ١٩٤٩ ـ ١٩٥٣ : امتلك الاتحاد السوفيتي القنبلة الذرية .. وانتصرت الثورة في الصين فكسب المعسكر الشرقي سبعمائة مليون انسان .. واخذت سياسة الردع تأخذ ابعادها حيث صار ميزان القوى يميل لصالح الاتحاد السوفيتي بشكل ساحق في القوات التقليدية الى جانب امتلاكها السلاح الذري .. وقد كشفت الحرب الكورية (١٩٥٠ ـ ١٩٥٢) هذا الخلل في التوازن عندما اشتركت الصين في الحرب واخذت تدفع ملايين الرجال الى الجبهة .. مما جعل الجنرال ماك ارثر يصر على استخدام القنبلة الذرية .. وكانت استنتاجات البنتاغون ان التصعيد النووي ربما ادى الى حرب عالمية .. ـ واستمرت استراتيجية الولايات المتحدة على الاسس الانفة الذكر مع التشديد على الاحلاف وتعزيز القوات التقليدية في آسيا .

ونضجت استراتيجية نووية للعمليات لدى الجنرالات الامريكان ، تتلخص في القيام بهجوم شامل على جميع المطارات المحددة في الاتحاد السوفيتي وتدميرها ما دامت القنابل الذرية تنقل بالطائرات ... ولكن توزيع المطارات بمهارة في الجانب الآخر وقوة منظومة الكشف والمراقبة الرادارية جعلت من المتعذر ضرب جميع النقاط . كما استبعدت فكرة هجوم مفاجيء صاعق على نمط بيرل هاربر امام تطور الاحتياطات وتدابير الأمن والوقاية لدى الجانب السوفيتي .

٣ . المرحلة الثالثة ـ ١٩٥٣ ـ ١٩٥٧ : توصل الاتحاد السوفيتي الى القنبلة الهيدروجينية قبل الولايات المتحدة .. فكانت القوتان تتسابقان لزيادة المخزون من الأسلحة الذرية .. وخاصة ذات العيار الصغير لاستخدامها في ميدان القتال .. وصارت مهمة استراتيجية الولايات المتحدة الاسراع للحاق بالاتحاد السوفيتي وامتلاك القنبلة الهيدروجينية .. واعلنت الولايات المتحدة عام ١٩٥٤ عن استراتيجية الرد الشامل .. اي تصعيد الصراع في الحروب المحلية الى مستوى الحرب الذرية الشاملة .. واستبعدت الحروب الحلية في هذه المرحلة مثل نمط الحرب الكورية ، وذلك بسبب احتمال استخدام الأسلحة الذرية في ميدان القتال من العيار الصغير .. وصار من الضروري البحث عن

طرق اخرى غير المجابهة المباشرة بين القوتين العظميين لممارسة التوسع الاقليمي او التبعية السياسية . وفي اواخر هذه المرحلةلحقت الولايات وامتلكت القنبلة الهيدروجينية ، واخترع الاتحاد السوفيتي الصواريخ عابرة القارلت ، مما ادى الى الغاء دور الطيران واستراتيجية الضربة النووية المفاجئة .

وشهدت السنة الاخيرة من هذه المرحلة اي عام ١٩٥٧ اهم تطور مثير عندما اطلق الاتحاد السوفيتي اول قمر صناعي « سبوتنيك ١ » وأهل عصر الفضاء .

٤ . **المرحلة الرابعة ـ ١٩٥٧** فما بعد : كان اختراع الصواريخ العابرة ـ للقارات عاملا جديدا ادى الى اختلال شروط التوازن بين القوتين العظميين . واصبحت الأرض الامريكية معرضة للضرب بهذه الصواريخ وليس هناك من سبيل لمكافحتها . كما اختلت استراتيجية الرد الشامل . واستطاعت الولايات المتحدة بعد عام ١٩٦٠ اللحاق بالاتحاد السوفيتي في مجال الصواريخ العابرة للقارات .. وعاد التوازن النووي والصاروخي .. واخذت القوتان تقيم كل واحدة لنفسها شبكة ضخمة من الصواريخ وزيادة المخزون من القنابل النووية .. ومحاولة ابتكار وسائل لاعتراض الصواريخ او تغيير مسارها وتفجيرها في الجو .. مع تبدلات سريعة في التفكير الاستراتيجي .

وفكر الامريكيون في استراتيجية الضربة الأولى ، اي مبادأة الاتحاد السوفيتي بالضربة النووية الموجهة الى قواعد الصواريخ والقواعد الجوية الرئيسية في الاتحاد السوفيتي ، ولكن الاتحاد السوفيتي كان قد هيأ ما يسمى الاستراتيجية المقابلة اي تدابير البقاء بعد الضربة الأولى ، مهما كانت قوية وعنيفة فان الرد يتمثل في توجيه ضربة ثانية بنفس القوة .. وكانت هذه حقيقة مؤكدة عن طريق انتشار الغواصات حاملة الصواريخ النووية والتي لا يمكن تحديد مواقعها كلها والقضاء عليها .. ثم جاءت استراتيجية الردع من الولايات المتحدة وتعني البقاء بعد الضربة الأولى ، ثم اتبعها الرئيس جون كنيدي باستراتيجية « الرد المرن والردع المتدرج » اي مواجهة كل اجراء معاد برد معاد مناسب

بواسطة استخدام قوة كافية لردعه وليس اكثر من ذلك .. للحيلولة دون التصـعيد الى الاشتباك النووي الشامل .

لقد دخلت كل من بريطانيا وفرنسا في حقبة الخمسينات ما يسمى بالمصطلح الدولي « النادي الذري » ولحقت بها الصين عام ١٩٦٤ .. واستمرت في التجارب حتى تمكنت من تفجير القنبلة الهيدروجينية ايضا .. وفي عام ١٩٧٤ دخلت الهند الميدان الذري باجراء أول تجربة للتفجير .

وفي شهر اذار ١٩٥٤ قامت لجنة الطاقة الذرية الامريكية بتفجير حشوة حرارية نووية تعادل ١٥ ـ ١٨ مليون طن ت.ن.ت حيث ساهمت هذه القدرة التدميرية الهائلة في تدعيم نظرية « ردع العدوان » عن طريق التهديد بالثأر الحراري النووي .. واصبح الهجوم اقوى من اي جهاز دفاعي .. وصار الدفاع البحث مستندا على الوسائل الهجومية .. ولم يعد باستطاعة اية قوة في العالم منع الصواريخ من الوصول الى اهدافها المقررة .

تحـولات جذرية :

ستزداد المعارك تعقيدا بسبب التطورات الفنية على الاسلحة ... وان وسائل الحرب الألكترونية والألكترونية المضادة .. ودخول الحاسبات الالكترونية في عملية انضاج القرار العسكري ومتابعة ديناميكا القتال ، هي اعلى معدلات التطور بين ادوات الحرب قاطبة .

كانت الطاقة المدمرة للقذيفة في الماضي ضعيفة نسبيا .. وكان كل طرف يعمل على استنفاذ الطاقة القتالية للطرف الاخر ببطء .. وشل ارادته تدريجيا على مواصلة القتال .. ونتيجة لذلك كان المحاربون يجدون المتسع من الوقت للتكيف مع بعضهما ومع ظروف الصراع في جميع مجالاته .. وعلى هذا الأساس كان الهجوم والدفاع متوازنين تقريبا .. ولكن تجربة هيروشيا ونجازاكي غيرت مفاهيم كثيرة بصورة جذرية .. وصارت السمة المميزة

للاسلحة النووية انها اسلحة هجومية منذ البداية .. وتبع ذلك مفاهيم استراتيجية جديدة نظرا لأن السلاح النووي اهم تطور فني ظهر في وسائل الحرب في العصر الحديث .. واهم عامل يطور اشكال النزاع مما جعله العنصر الرئيسي في الدراسات الاستراتيجية .. لما أضافه من قدرة على السحق والتدمير .. وما ينتظر ان تجابهه الأسلحة النووية من وسائل الحماية منها والوقاية من اضرارها .

لقد وضع رجال الاستراتيجية المعاصرون اربعة مبادئ تحدد اساليب استخدام الأسلحة النووية في الحرب هي :

١ . القيام بشن حرب وقائية لتدمير اسلحة العدو النووية .

٢ . اعتراض اسلحة العدو النووية وهي في طريقها الى اهدافها .

٣ . اتخاذ التدابير لمنع اضرار اسلحة العدو النووية او تقليل آثارها الضارة على قدرات الطرف المقابل .

٤ . التهديد بالانتقام او ما يسمى بالردع النووي .

ان اسلوب التدمير الوقائي لأسلحة العدو النووية يتفق مع استراتيجية الهجوم المباشر التي وضعها كلاوزفتش .. كما يتفق مع المبدأ الذي وضعه الجنرال الايطالي دوهيت عن الاستراتيجية الجوية وضرورة تدمير قوة العدو اذا اردنا السيادة عليه . ونظرا لصعوبة تحديد اماكن جميع اسلحة العدو النووية فأن التدمير الوقائي يجب ان يوجه ايضا ليشمل تدمير قواعد الاطلاق والانتاج ويتطلب هذا توفر التفوق في التسليح النووي للجانب الذي يبدأ الحرب .

كان من الممكن للولايات المتحدة تطبيق هذا الاسلوب قبل انشاء القوة النووية للاتحاد السوفيتي ، حيث كانت الولايات المتحدة متفوقة في التسليح النووي .. ولم يكن الاتحاد السوفيتي يملك من وسائل الاطلاق وايصال القذيفة النووية الى الهدف الا بواسطة الطائرات الرابضة في المطارات .. وكان من السهل على امريكا وضع خطة تدمير الاهداف

النووية في روسيا .. وتغير الموقف بسرعة بزيادة عدد الاهداف النووية وانواعها .. وجرى توزيعها وا فائؤها بمهارة داخل روسيا وخارجها في دول المعسكر الشرقي .. واصبح تنفيذ استراتيجية التدمير الوقائي صعبا حتى باستغلال عامل المفاجأة لتوجيه ضربة نووية .. حيث ان الطرف المقابل قد اعد عدته للانتقام والرد بنفس القوة . ومع ذلك فأن لاسلوب التدمير الوقائي ميزتين هما :

(١) ان من يشنها لا يعاني من ضربة عدوه النووية الأولى .
(٢) مفاجأة العدو دون انذار فتكون خسائر العدو اكبر .

وفي حالة عدم امكان تنفيذ اسلوب التدمير الوقائي .. او كان هذا التدمير جزئيا فحينئذ تبرز اهمية الاساليب الثلاثة الباقية وعلى رأسها اعتراض اسلحة العدو النووية وهي في طريقها الى الطرف الذي بدأ الحرب ، وهذا الاعتراض هو احسن الاساليب في الاستراتيجية النووية اذا تحقق بصورة فعالة .. ولكن اعتراض اسلحة العدو في الطريق وقبل وصولها يعتبر حلا نموذجيا ويصعب تحقيقه من الناحية الفنية . وهناك دائما سباق بين القدرة على الاختراق والقدرة على منعه .. وكلما حقق الاعتراض تفوقا .. قابله تطور سباق في القدرة على الاختراق .. وهذا ادى بدوره الى ظهور استراتيجية سباق التسلح النووي في زمن السلم .. وهي معطيات الصناعة والتقدم الفني والمالي حيث تقدم مجالات العلم افاقا واسعة في التصنيع والابتكار .. ومحاولة التفوق على اسلحة الجانب الآخر وجعلها اسلحة متخلفة يسهل تدميرها وابطال فعاليتها وقت الحرب . وقد حدث مثل على ذلك في الحرب العالمية الثانية عندما احرز جهاز الرادار في معركة بريطانيا الجوية عام ١٩٤٠ اول نصر جوي دفاعي حدث في التاريخ . واخيرا تفوقت الطائرات التي تطير على ارتفاعات عالية على اجهزة الرادار والاسلحة المضادة للطائرات .. وجعلتها متخلفة عنها وغير قادرة على صدها .. وظهرت بعد ذلك الصواريخ التي تطلق من الارض الى الارض والتي لا يمكن اعتراضها .. كما ظهرت الصواريخ التي تطلق من الارض الى الجو .. ثم الصواريخ التي تطلق من الجو الى الارض واخذت طريقها الى الظهور .. وبذلك اصبحت الطائرات

متخلفة بالنسبة لهذه الصواريخ .

ويستمر السباق للوصول الى القدرة على اعتراض الاسلحة النـووية ومنعهـا من الوصول الى اهدافها .. وتبذل الاطراف المعنية قصارى جهدها لصنع صواريخ مضادة للصواريخ او تغيير مسار هذه الصواريخ .. ولكن في حال تعميم استخدام الصـواريخ المضادة للصواريخ فيجب ان لا يغيب عن البال عمل الحساب الخاص للأخطاء البشرية والفنية والتي قد تؤدي الى كوارث في بعض الاحيان .. وعلى الرغم من استمرار الدراسات لتحسين وتطوير طرق واساليب الدفاع الا انه يجب ان لا نتوقع منه سوى نتائج ثانوية .. وهو بالتالي لا يملك الا ان يزيد قليلا من الصعوبات التي تعترض المهاجم .. وتجبره على اتخاذ بعض التدابير الاضافية مع زيادة ضئيلة في الجهد المبذول والامكانات المهدورة .

كانت الاستراتيجية الدفاعية قبل ظهور الاسلحة النـووية الحـرارية تشمـل عدة اجراءات وقائية لتقليل أضرار وآثار الضرب النووي ، وذلك بتوفير الوقاية الى قدر محدود بالاختفاء في ملاجيء تحت الارض ، او وراء سواتر من الخراسانة بالنسبة للمدنيين .. ونشر وتوزيع القوات مع قابلية حركة جيدة لتقليل خسائرها .. ولكن بعد ظهور الاسلحة النووية الحرارية صارت هذه الوسائل غير كافية للحماية أو تقليل اضرار السلاح النووي .. حيث تتطلب تدابير الحماية اجراءات متعددة تستنزف اموال الدول الكبرى .. ولا يمكن للدول الصغرى ان تتحمل هذه الأعباء .. ومن ضمن هذه الاجراءات ، اعادة تنظيم وبنـاء القوات النووية التي لم تتأثر بضرب العدو النووي لتكون قادرة على الرد على القوة النووية المعادية وتحطيمها .. وكذلك توزيع القوات النووية ونشرها اما فوق اليابسة او تحت سطح الماء في الغواصات .. وتدابير حماية هذا التوزيع .. وتوفير اجهزة السيطرة والادارة القادرة لهذاه القوات .. مع توفير جهاز حكومي قادر على مواصلة العمل بعد قصف العدو النووي .. وعمل الملاجيء اللازمة لحماية اجهزة الدولة والمدنيين .. مع عمل التخـطيط وتوفير القدرة لاعادة تسيير عجلة الثروة الصناعية والاقتصادية للدولة وتطويرها لتعويض التدمير الذي حصل . مع توفير الامكانات اللازمة للعلاج الطبي ووسائل التطهير وكل ما

يلزم ذلك من عقاقير ومهمات واشخاص مدربين لهذه الغاية .

جميع التدابير الآنفة الذكر تحتاج الى اعتمادات عالية خيالية ، وهذا السبب كان الدافع الرئيسي لجعل واضعي الاستراتيجية يقولون بضرورة تركيز الجهود لبناء وتطوير القوة النووية الهجومية وذلك اعتمادا على تأثيرها الرادع .

وتستند نظرية الردع النووي على المبدأ القائل بأن الحماية الفعالة ليست في المنع الذي من المحال تحقيقه .. بل تكون القدرة على القيام بهجوم انتقامي ساحق يردع العدو عن المبادأة باستخدام سلاحه النووي .. ويتطلب ذلك وجود قوة نووية ضاربة هجومية قوية تكفي لردع العدو ومنعه من استخدام قوته النووية الضاربة .. وهذا هو ابسط تفسير لنظرية الردع النووي والتي بدورها تهدف الى التأثير على ارادة العدو دون استخدام القوة الفعلية .

مما تقدم نصل الى الحقائق والمفاهيم التالية :

(١) ضرورة بناء القدرة الهجومية الى مستوى جيد وجعل الأولوية للقوة الضاربة المهيأة دائما للرد على العدو بنفس القوة او اكثر .

(٢) عمل اجراءات الدفاع السلبي على نطاق محدود خاصة بعد اختراع القنابل النووية الحرارية والصواريخ العابرة للقارات ، نظرا للتكاليف الباهظة لاجراءات الدفاع السلبي . اما الدفاع الايجابي فقد اصبح ضربا من المحال .. فاذا كانت ٥٠ قذيفة نووية حرارية مثلا تكفي لتدمير البنية البشرية والسياسية والاقتصادية لبلد من البلدان .. وكان باستطاعة الدفاع ان يسقط نصف الطائرات المهاجمة فأن مثل هذا المردود لا يمكن ان ـ يعتبر رادعا لأي عدوان ذري .. ولا يمكن ان نتصور الآن ان باستطاعة الدفاع عمل شيء لمنع الصواريخ الحاملة للرؤوس النووية من الوصول الى اهدافها ، ما لم يتم التوصل الى ابتكار الوسائل لاعتراض هذه الصواريخ بعيدا عن البلد او تحويل مسارها .

وعليه تظل القوة الهجومية للاسلحة النووية هي المتفوقة وتأتي في المرتبة الأولى ، مع

استمرار السباق بين قوة الاختراق وقوة مقاطعة الصواريخ واعتراضها .. ولكن قوة الاختراق حصلت على عامل جديد جعلها تتفوق اكثر واكثر نتيجة السيطرة على الفضاء .. وتبعا لذلك صارت الاحتمالات الاستراتيجية النووية كما يلي :

(١) استراتيجية الهجوم المباشر وهي قسمان : الأول استراتيجية تدمير اسلحة العدو النووية بضرب مواقع القوة النووية الضاربة اولا وبصورة مفاجئة .

(٢) استراتيجية دفاعية / هجومية مباشرة ـ عن طريق اعتراض ومقاطعة اسلحة العدو النووية وهي في طريقها الى الهدف ثم القيام بضربة مضادة ساحقة .

(٣) استراتيجية الردع ـ اي القدرة على البقاء بعد الضربة الأولى وتوفر القدرة على الرد بنفس القوةأوبأكثر منها . وقد اصبحت استراتيجية الردع هي الدارجة حاليا في عصر التوازن النووي ومحاولة تجنب التصعيد . ويستمر السباق العلمي والصناعي والتقني ليحاول كل طرف أن يسبق الآخر باختراع سلاح اوْ وسائل تعطل او تلغي سلاح الطرف الآخر .

وخلاصة القول ان الاسلحة النووية احدثت تغييرا جذريا في ثلاثة ابعاد اساسية هي : بعد المكان ـ حيث اتسع ميدان القتال وصار التهديد يمتد عبر القارات .. والبعد الثاني هو بعد الزمان ـ حيث جعلت الصواريخ حساب الوقت بالدقائق والثواني .. والبعد الثالث هو حجم القوات ـ فقد اصبح نفر قليل ينتج من القوة التدميرية قدر ما تنتجه عدة الآف من الطائرات او كتائب المدفعية .

الفصل الثالث

السياسة الرادعة ونظرية الـردع الـنووي

نشوء السياسة الرادعة

نتيجة الدراسات التي قام بها الخبراء في اواسط الخمسينات .. حول الدفـاع عن الاراضي الأوروبية ضد الهجمات الجوية السوفيتية .. دلت الحسابات التي جرت وقتئذ ان باستطاعة السوفيت بواسطة اربعين قذيفة ذرية فقط .. ان يشتتوا مجموع الجهاز الدفاعي الجوي للحلفاء .. وان يشلوا وسائط الرد عندهم .. فلو اعطينا الدفاع نسبة ٢٠٪ من الفعالية أي اربعة اضعاف النسبة التي كان عليها الدفاع الالماني خلال الحرب العالمية الثانية .. لكان يكفي ان يرفع المعتدي قذائفه من اربعين الى ثمان واربعين حتى يظل قادراً على تحقيق نفس الاهداف السابقة ، وعليه فأنه يظل قادرا على تجريد خصمه من وسائط القتال كافة .. بمجرد بذل هذا الجهد الاضافي البسيط .

وبالرغم من زيادة فعالية الدفاع بشكل ملموس نتيجة التطورات الفنية مثل دقة الصواريخ الموجهة من الارض الى الجو .. وطائرات الاعتراض الحديثة .. ووسائط المراقبة والانذار إلا ان ذلك لن يكون مجديا كثيراً بالنسبة لأوروبا نظراً لقصر المسافة التـي تفصلها عن الاتحاد السوفيتي .... ويصبح من العبث الركون الى أي مفهوم دفاعي . وقد كان هذا رأي الخبراء في الدفاع في تلك الحقبة منذ ما يزيد على خمسة وعشرين عاماً ... وكانت وسائط الهجوم النووي مقتصرة على القنبلة والطائرة .. وقد حدث تغير جذري بعد اختراع الصواريخ ... العابرة للقارات وزاد الامر تعقيداً دخول عصر الفضاء باقماره وسفنه التي يمكن تحميلها الرؤوس النووية ، وتبذل الان جميع الجهـود العلمية والفنية لصنـع صواريخ مضادة للصواريخ وايجاد وسائط اعتراض سفن الفضـاء وتدميرهـا بعيداً عن

الاهداف أو تغيير إتجاهها .

وعلى الرغم من استمرار الدراسات لتحسين الدفاع وتطوير طرقه وأساليبه .. فيجب الا نتوقع منه سوى نتائج ثانوية .. فهو لا يملك الا زيادة قليلة للصعوبات التي تعترض المهاجم . وتجبره بالتالي الى إتخاذ بعض التدابير الاضافية .. مع زيادة ضئيلة في الجهد المبذول والامكانات المهدورة .

ومن الاهمية بمكان الا نحمل الجهاز الدفاعي فوق طاقته . والا ننتظر منه أكثر مما بامكانه ان يعطي وألا نعطيه أكثر مما يستحق . **ان عجز الدفاع الجوي هو منشأ السياسة الرادعة على الصعيد العسكري** .. وقد وجدت الولايات المتحدة نفسها مع انتهاء الحرب العالمية الثانية مدفوعة لتمارس نوعاً من البوليس الدولي نتيجة امتلاكها السلاح النووي وحدها .. معتمدة على الرعب الذي وقر في قلوب الناس . من هول هذا السلاح وما سببته قنبلة هيروشيا من دمار وتقتيل ...

كانت بعض الدول الأوروبية تتبنى استراتيجية دفاعية بحتة بتسليح دفاعي مثل سويسرة والسويد .. فقد اعتمدتا الدفاع أساساً في سياستها حفاظاً على حيادهما .. ومع ان فرنسا لم تكن محايدة الا انها انتهجت سياسة الدفاع بعد الحرب العالمية الاولى .. فاقامت خط ماجينو ووضعت خطة لاستخدام المدرعات واعطت اهمية خاصة للطيران المطارد . كان هذا المفهوم للأمن المستند على الدفاع يجد بعض المدافعين عنه وتبرير اتباعه في ذلك الوقت .. ولكن هذا المفهوم أصبح بعيداً عن الواقع في عالم اليوم .. وان أية سياسة دفاعية يجب ان تعتمد على أسلحة هجومية لتكون قادرة على الصمود وردع العدو الذي تحدثه نفسه بالعدوان على الفريسة السهلة .

بدأ الغرب اعتباراً من عام ١٩٥٣ يخسر تفوقه النووي عندما سجل الخبراء الامريكيون اول تفجير حراري نووي نفذه السوفييت .. وكانت الطائرة وقتئذٍ هي الوسيلة الوحيدة لحمل القذيفة النوويةِ الى أراضي العدو حيث لم تكن الصواريخ العابرة للقارات

قد اخترعت بعد .. فكانت القاذفات السوفيتية الثقيلة هي التهديد الوحيد بالنسبة للولايات المتحدة .. وكانت تلك القاذفات بطيئة نسبياً ولا تزيد سرعتها عن ٩٠٠ كيلومتر في الساعة . وضمنت الولايات المتحدة تفوق طيرانها المعترض مما يجعل مهمة المهاجم صعبة ومعقدة .. ومع ذلك لم تكن الأجواء الامريكية كاملة المناعة .. لذلك رأت وزارة الدفاع الامريكية المباشرة بانشاء جهازدفاع جوي قوي ولا يزال لديها الوقت الكافي لهذه الغاية .. ونظراً لتكاليف انشاء هذا الجهاز الباهظة فقد جرى تقليص موازنة القوات البرية والبحرية وتخفيض عدد القوات المسلحة الامريكية بما يقرب من « ٦٠٠ر٠٠٠ » رجل .. واتخذ الأمن عن الولايات المتحدة وحلفائها أسبقية اولى . وقد قال الجنرال ايزنهاور اثناء حملته الانتخابية عام ١٩٥٢ : ان نفقاتنا الكبرى هي تلك التي نخصصها للأمن حيث تبلغ قيمتها ٦٠ مليار دولار ، وهي ميزانية عام ١٩٥٢ اثناء الحرب الكورية « وهنا بالذات يمكننا توفير المبالغ الطائلة .. دون ان نحد من قدرتنا الدفاعية » .

وتابع الجنرال ايزنهاور كلامه قائلا : « ان ما يسعى اليه السوفيت في الواقع .. هو افلاس الولايات المتحدة أكثر من هزيمتها في ساحة المعركة ..» .

وشارك الجنرال ايزنهاور في هذا المفهوم عدد من كبار قادة الجيش ورجال السياسة .. لذلك كان تأثير النواحي الاقتصادية على القوات المسلحة وعلى السياسة العامة للدولة ـ كان اهم العوامل التي ساعدت على تدعيم السياسة « الرادعة » والتهديد بالثأر الشامل .. لانها تجنب الاحتفاظ باعداد كبيرة من الرجال تحت السلاح . ولكن تلك السياسة باهظة التكاليف .. واستمر التساؤل قائماً : كيف يمكن تحقيق التوازن مع الاعداد الهائلة من القوات البرية السوفيتية . وجاء الجواب في ضرورة ايجاد قوة انتقامية الى جانب تدابير الدفاع المحلي .. وهكذا كان الاقتصاد والاستراتيجية مبررين لعقيدة الانتقام التي جرى تبنيها في نهاية عام ١٩٥٣ وهيأت مخصصات موازنة الدفاع قوة قادرة أقامت نوعاً من التوازن بين المعسكرين الكبيرين .

يتضح مما تقدم ان سياسة المحافظة على الوضع الراهن قد نشأت في الأساس عن

طريق التهديد .. وهذا نابع عن ادراك الطرفين للمجازفات والمخاطر التي تنجم عن استخدام القوة . وصار المطلوب « منع الحرب بدلاً من شنها وربحها » ولا شك أن أي جانب يريد أن يبدأ العدوان لا بد وان يقوم بحسابات دقيقة للمغانم التي سيحصل عليها . وحتى لو فرضنا ضمان نتيجة القتال لصالحه ولكنه سيتلقى الرد بضربات عنيفة قد تكبده خسائر لا تتناسب مع الرصيد الذي سيحصل عليه . ناهيك عن أن خطأ في الحساب والتقدير ستكون له عواقب وخيمة ومهلكة . ففي الحروب الماضية كان الخاسر او المهزوم يتخلى للمنتصر عن قطعة من ارضه . أو يغير حكومته أو قادته أو سياسته . أو يخضع لحكم جديد يفرض عليه فترة من الوقت .

وقد اختلف الأمر في ظل التهديد النووي نظراً لارتباطه بمصائر الشعوب بأكملها . يضاف الى ذلك ما تسببه الحرب من الدمار الكثيف والاعداد الهائلة من القتلى لدى الطرفين بنسب متقاربة .

ونظرية منع الحرب بدلاً من شنها جعلت كل طرف يقوم باعداد قوة انتقامية كبيرة مؤثرة . ويلوح لغريمه بالقوة الضاربة الجاهزة لمواجهة البادىء بالعدوان . وقد استطاع الاتحاد السوفيتي ان يلوح بالقوة النووية في يد واهمية الفرق السوفيتية الكثيرة في اليد الأخرى . بينما كان التلويح بالقوة في الغرب عن طريق (قوة الطيران الاستراتيجي) وامكاناته القوية والسريعة لمواجهة العدوان .. ولما ظهرت الصواريخ ذات الرؤوس الحرارية النووية وردت في التهديد حيث لوح بها السيد خروتشوف . وقابل ذلك الصواريخ الامريكية فيما بعد . وعليه اصبح من الضروري ان يلم كل معسكر بامكانات الآخر إلماماً دقيقاً . ولم يبق امامها سوى التلاعب في الرأي العام والتأثير عليه باستغلال جهله للاستراتيجية النووية الجديدة . لتوهيمه واضعافه ، وجعله يحد بالتالي من قيمة السياسة الرادعة التي تنتهجها حكومته . وفي هذا المجال يتفوق الاتحاد السوفيتي بموقف صلب متماسك . على الدول الغربية التي تتوقف سياستها كلها على الرأي العام في بلادها .

نظرية الردع النووي

تكشفت لنا في الصفحات السابقة السمات المميزة الجديدة للسياسة الرادعة . وكلما عم امتلاك السلاح النووي كلما اصبح مفهوم الردع مشتركا بصورة أكثر . وليكون للقوة النووية تأثير رادع لا بد ان تكون قادرة على توجيه ضربة دقيقة ساحقة تخترق جهاز الاعتراض لدى الطرف الآخر . وان يكون تأثيرها المعنوي مرهباً للعدو لكي يخيفه ، لذلك يجب أن تكون هذه القوة في مأمن من ضربة العدو الأولى .. لتستطيع البقاء والانتقام ، وكلما زادت قدرتها كلما كان اثرها الرادع اكبر وكان انتقامها رهيباً .

ولضمان كفاية قوة الردع النووية يجب اختيار اهدافها بدقة وعناية للحصول على نتائج حاسمة ربما ادت الى استسلام العدو . وأهم هدف في هذا المجال هو حرمان العدو من اسلحته النووية عن طريق تدميرها أولاً وتدمير مراكز انتاجها فتصبح عاجزة عن الرد . ويتطلب ذلك طاقة تدميرية كافية ومعلومات دقيقة عن جميع مواقع اسلحة العدو النووية ومراكز الانتاج .

ويبدو ان الدولتين الكبريين تتخذان كافة التدابير من انتشار وتمويه وحماية حتى لا يتمكن البادىء بالعدوان من تحقيق ذلك .. لضمان بقاء للأسلحة النووية والقدرة على الردع .. ومن هنا يصبح توجيه الضربة النووية الى المدن استراتيجية أخرى وعملاً سهلاً قليل التكاليف .. ولكن بقاء وسائل العدو النووية سليمة في مثل هذه الحالة يجعلها قادرة على الرد والحاق الدمار في كل وقت .

يجب أن يحقق أسلوب الردع اقتناع الطرف الآخر من القدرة التدميرية للأسلوب المتبع .. عن طريق معرفته بقدرتها على اختراق جميع وسائله الدفاعية .. وان تكون ذات قدرة كافية تتفوق على ما يتوفر للطرف الآخر .. ولتكون استراتيجية الردع ناجحة يجب ان تتوفر لها الشروط الستة التالية كما وضعها البرت فوهستيتر في كتاب « توازن الرعب الدقيق في السياسة الدولية » . المنشور في نيويورك عام ١٩٥٩ .

١ ـ يجب ان يعمل الجهاز الخاص بقيادة القوة الضاربة في وقت السلم .. وان تكون نفقات تشغيله مناسبة لاستمرار ذلك .

٢ ـ ان يكون هذا الجهاز قادراً على البقاء بعد هجوم العدو النووي .

٣ ـ أن يكون الاتصال قائماً بين القيادة السياسية والقيادة الاستراتيجية وهذا الجهاز باستمرار .. حتى بعد حدوث الهجوم النووي .

٤ ـ ان تكون وسائل اطلاق وحمل الاسلحة النووية قادرة على الوصول الى الأهداف المحددة لهذه الأسلحة .

٥ ـ ان تكون الاسلحة النووية قادرة على تفادي وسائل الاعتراض واجتياز التحصينات المقامة لصدها .. وان يحقق الانتقام التدميري شل قوات العدو النووية تماما .

وبذلك نصل لنتيجة مهمة هي **ان استراتيجية الردع النووي تتوقف على توازن القوى النووية بين الاطراف المتصارعة** .. وهذا التوازن غير مستقر بالنظر لتسابق الاطراف المتصارعة في ميادين الاختراع للحصول على القدرة على اختراق وسائل الطرف الآخر والقدرة على الاعتراض والمنع .. وكلما ظهرت وسيلة جديدة فعالة فانها تهز هذا التوازن من قاعدته .. وان توزيع القوات النووية بطريقة لا تفصح عن اسلوب استخدامها .. ووسائل الخدعة لتضليل العدو تعطي ما يسمى « عامل الشك » وهو احد العوامل المؤدية الى نجاح استراتيجية الردع النووي .

عندما كانت الاسلحة النووية حكراً على الولايات المتحدة (١٩٤٥ ـ ١٩٤٩) كانت استراتيجية الردع النووي مبنية على اساس الانتقام العنيف من قبل الولايات المتحدة اذا قام الاتحاد السوفيتي بالعدوان .. وتهدف هذه الاستراتيجية أساسا الى ارهاب الطرف الآخر والتأثير على معنوياته دون ان تستخدم .. وبالمقابل كان الاتحاد السوفيتي قد وضع استراتيجية التفوق بالقوات التقليدية وقبول ضرب بعض مدنه بالسلاح النووي .. لو استغلت الولايات المتحدة السلاح النووي الذي كان بيدها لحسم الأمر مع الاتحاد السوفيتي .. وكانت قواته التقليدية مستعدة لخوض الحرب واحتلال بلاد عديدة من

دول غربي اوروبا حلفاء الولايات المتحدة .

وبعد أن أصبح الطرفان يملكان الاسلحة النووية .. صار التهديد النووي مهدداً لكل منهما .. بيده قوة رادعة لا يبادىء بها عدوه الا اذا كان الموقف يتطلب تحقفيق اهداف مهمة توجب التعرض لتدمير متبادل .. وصارت العمليات الصغرى والحروب المحلية والمحدودة لا ينتظر ان تصل الى صدام نووي شامل ولا تستحق الرد عليها بضربة نووية ، واخذت طريقها هنا وهناك في اماكن مختلفة من المعمورة .. وصار من الضروري تجهيز قوات تقليدية لمواجهة مثل هذه العمليات وإطفاء الحرائق هنا وهناك أو للدفاع عن المناطق الهامة والحيوية المعرضة للعدوان المسلح .. كما جرى التفكير لتوفير اسلحة نووية على مستوى تعبوي لدعم هذه القوات دفعاً للتهديد وخلق ردع محلي محصور في مسرح العمليات المحدد .

تتأثر الاستراتيجية النووية بازدياد نجاح تأثير الردع النووي لدى الجانبين المتنازعين وخاصة عندما تزيد القدرات ويصبح استخدام الضرب النووي غير متوقع الحدوث .. فتبرز حينئذ اهمية الوسائل التقليدية .. ويصبح الاعتماد على الاستراتيجية التقليدية بينما تظل الاستراتيجية النووية قائمة باليد الأخرى .. وبذلك تزيد النفقات لان ضرورات الرد على العدوان قد تؤدي الى التدرج في حجم القوة المستخدمة .. وهذا بدوره قد يحول الحروب المحلية الى حرب نووية شاملة .. وعليه فان الاعتماد على الاستراتيجية التقليدية قد أدى الى تطور استراتيجية الردع وأصبح من الضروري توازن القوة النووية الضاربة عند الطرفين .. مما يسبب ردعاً ضد صراع شامل .. وظهر ردع من نوع آخر هو الخوف من حرب نووية بالتدريج نتيجة احتمال تحول الحرب المحلية الى مستوى الحرب النووية الشاملة .

القوة الضاربة النوويه

ان اهم ميزات الوسائط العسكرية للسياسة الرادعة ان تكون مستورة .. لا يعرف العدو مكانها فيتمكن من تدميرها .. لذلك يجب ان تكون قوة الردع محمية ومؤمنة بشكل مضمون .. حتى تستطيع الرد والانتقام مهما كانت قوة الخصم . ومدى نجاحه في تأمين المفاجاة . أما مقدار القوة النووية الضاربة اللازمة لتأمين الردع .. ومقدار الردع المطلوب تحقيقه ، فهناك اراء مختلفة متباينة تبلورت في رأيين أولهما ما يسمى (أقل ردع) وثانيهما يسمى (الردع المعيّن) .

كان الجنرال مكسويل تيلور . رئيس اركان حرب الجيش الامريكي السابق . قد اكد نظرية اقل الردع حيث قال : (ليس من الصعب قيام حرب نووية شاملة مدمرة .. لان مقدار ما يمتلكه الطرفان من الاسلحة النووية سر غير معلوم للجانب الاخر .. وطالما كان كل منهما يملك سلاح تدمير رهيب . فان الطرف الآخر سوف لا يفكر في العدوان عليه) . كان هذا الرأي سائدا في الشرق والغرب .. وقد نادى به مالينكوف من قبل حينما قال : (ان التدمير المتبادل يمنع الغرب من بدء هجوم نووي) . وتلا ذلك تدرج في الدراسات حتى ظهر رأي جديد فعدل مفهوم نظرية « اقل الردع » الى مفهوم « الردع المعيّن » وساعد على ظهور هذه النظرية ان وسائل الدفاع الحديثة لها قدرة على اعتراض الاسلحة النووية .. ومنع بعضها من الوصول الى اهدافها . وقد وفرت وسائل التخفية والانتشار وقاية لهذه الاهداف ، فخفف ذلك من معنى « التدمير المتبادل » .

عندما كانت قوى الثأر مقتصرة على القاذفات لحمل القنابل النووية .. كان باستطاعة البادىء بالعدوان ان يدخل في حسابه تدمير أكبر عدد ممكن من الطائرات القاذفة وهي رابضة في مطاراتها . حتى يتمكن بالتالي من ايقاف باقي القاذفات قبل وصولها الى اهدافها .. وتعتمد هيئات الركن في تخطيطها ودراستها لاحتمالات الهجوم والدفاع على تدمير الطائرات على الارض أكبر من اعتمادها على ملاقاتها في الجو ، اما اليوم

وقد أصبحت قوى الثأر مستورة وملتجئة ومتحركة .. وبعد اختراع الصواريخ وسفن الفضاء ، صار بامكان الدولة التي تختار الوضع الدفاعي ألا تخضع للضغط والتهديد وهي واثقة ان هذا لن ينتقل الى حالة التنفيذ ، نظرا لادراك الدولة المعتدية لقدرة القوة الضاربة للدولة المعتدى عليها بعد تلقيها الضربة الاولى .

الاهداف ومدى التدمير

لا شك ان أول الاهداف التي سيضربها البادىء بالحرب هي القواعد الصاروخية اكثر من ملاقاة الصواريخ في الجو . لكن تدمير الصواريخ على مدارها اصعب بكثير من اعتراض طائرة قاذفة تفوق سرعة الصوت .. وعليه يتحتم على المعتدي أن يبطل فعالية قوى الانتقام لخصمه . بتدمير وسائل هذا الانتقام أنّى وجدت .. فهي اقل تعرضا من القواعد الجوية .. ويسهل اخفاء قواعد الصواريخ وانزالها الى باطن الارض .. أو تأمين حمايتها بابقائها متحركة سواء على سطح الارض أو البحار .. أو في الفضاء وأعماق المحيطات .. ولهذه العوامل مجتمعه يصبح تدميرها شبه مستحيل .. ومتى تمت حماية وسائط الانتقام وتأكد الخصم من ذلك فانه يعدل عن التفكير بالعدوان بصورة تلقائية .. **اذن فالسياسة الرادعة لا يمكن أن تكون فعالة ناجحة الا اذا رافقها على الصعيد العسكري وضع وسائل الانتقام بمأمن من ضربات العدو .**

تتفاوت درجة التدمير بين المهاجم والمدافع وبين الخصم والمحايد . وبين الدول حسب الموقع الجغرافي في الكرة الارضية ومسرح عمليات تبادل الضربات النووية . ومن ذلك ما سيكون تدميرا كاملا بدون حياة الى أعداد من الاصابات بالاشعاع النووي . لذلك انقسم المفكرون العسكريون في الرأي الى قسمين .. أولهما يرى ان مدى التدمير النووي سوف يتوقف على كيف بدأت وسارت الحرب ، وعلى ما اتخذ من تدابير واحتياطات لمقابلة الضربات النووية .. وثانيهما يرى أن حربا نووية مهما كانت ، ستؤدي الى تدمير متبادل بين الاطراف المتنازعة .. ولا تجدي أية إحتياطات متخذة ولا موجب لها ولذا لن تقوم مثل

هذه الحرب .. وفي ذلك إتفاق غير مباشر بين الجانبين على عدم بدء حرب نووية . ويرى أصحاب الرأي الأول ان مجرد وجود الاسلحة النووية عند الجانبين لا يكفي لعدم قيام حرب نووية .. إذ يمكن لأحد الطرفين أن يطور وسائله لتصبح وسائل الطرف الاخر متخلفة عنها .. وهذا يقضي ان تبقى القوة النووية مستعدة متطورة وكافية لمقابلة جميع الظروف دائما وهذا ما يعبر عنه بـ (الردع المعينّ) .. ويجب ان يشمل صواريخ متنوعة وقاذفات قنابل وغواصات استراتيجية وحاملات طائرات لمواجهة جميع الظروف .. وفوق ذلك كله وسائل حرب الفضاء التي يتسابق الطرفان حاليا في تطويرها وتنويعها .

تعتبر المدن الكبرى واماكن التجمعات السكانية اهدافا سهلة للتدمير والابادة .. ويستطيع البادىء بالعدوان ان يمحو بدقائق معدودة البلد المعتدى عليه من خارطة العالم .. ولكن اذا لم يسبق ذلك أو يرافقه تدمير القواعد الصاروخية على الأقل فلن يتمكن المعتدي من قطف ثمار انتصاره السهل .. لأن بقاء وسائل الانتقام للطرف المعتدى عليه سليمة أو بقاء أي عدد منها تجعله يرد على المدن الكبرى والتجمعات السكانية للطرف البادىء بالعدوان ويحيلها الى رماد .

يتضح مما تقدم أن بدء حرب نووية دون التعرض لرد مماثل لا يمكن تحقيقه . لذا يجب ان يكون حجم الرد مناسبا لحجم العدوان إذا وقع .. فاذا وقع عدوان بالاسلحة التقليدية سيكون الرد بأسلحة تقليدية .. واذا كان العدوان بضربة نووية محدودة فسيكون الرد بضربة مماثلة .. تلك ما عرفه الجنرال اندريه بوفر بنظرية « الرد المرن » .. ومؤداها ان تتخذ الاجراءات اللازمة لرد العدوان حسب ظروف ومعطيات كل حالة . على الا يلجأ الى الانتقام الشامل الا كحل أخير .. حتى لا يتطور الصدام من حرب محلية الى حرب شاملة .. وتقرن هذه النظرية بين استعمال الوسائل التقليدية والوسائل النووية الرادعة لتحقيق اهدافها . وخلاصة القول انه كلما زاد التقدم في المجال النووي كلما صار ممكنا منع اللجوء الى القوة وردع العدوان .. حتى ولو كانت الدولة المعتدية هي الأقوى والأغنى والأكبر .

تنقلب جميع قواعد الاستراتيجية النووية رأسا على عقب إذا استطاع البادئ بالعدوان إقامة جهاز دفاعي لا تتمكن وسائل العدو من اختراقه والنفاذ منه فاذا حصل ذلك فان المعتدي لا يحتاج ان يبدأ هجومه على وسائل الرد النووي لدى الخصم .. ويصبح في موقف متميز على خصمه وفي مأمن من قوة ردعه ويكتفي والحالة هذه بتوجيه انذار ثم ينتظر ردود فعل الخصم .. فاذا لم يرضخ للانذار وفضل البدء بالهجوم على البلد المحرض . عندئذ يقوم الاخير بتدمير الوسائل الهجومية في الجو قبل الوصول الى اهدافها وبهذا تظل وسائله الهجومية سليمة .. بينما وسائل الخصم قد دمرت وانتهى أمرها .. وفي مثل هذا الموقف يختل التوازن ويصبح باستطاعتة الدولة التي وجهت الانذار ان تفرض شروطها بعد ان حرمت خصمها من عناصر قوتة . واذا لم تستجب الدولة الموجه اليها الانذار ولم تبادىء بالهجوم ، فان باستطاعة البادئ بالعدوان ان يهاجم بعض المدن ليضمن بشكل اكيد انطلاق الوسائل الهجومية لخصمه فيدمرها ويصبح سيد الموقف . وعليه فان الحصول على جهاز دفاعي فعال بنسبة ١٠٠٪ على افتراض ان الوصول الى مثل هذه الفعالية ممكنة الحدوث فهي تزود المعتدي تفوقا على امتلاكه لاعظم قوة هجومية ، حيث يمكنه بعد إمتصاص القوة الهجومية للخصم . ان يفرض شروطه بقوة هجومية بسيطة ، **وهذه احدى مفارقات العصر النووي الهامة والتي يحتمل ان تهز قواعد الاستراتيجية النووية حيث يصبح الاعتماد على تنظيم دفاعي متين اساسا لاكثر النوايا عدوانية .**

تصور حالة الحرب النووية

يوجد لدى كل من الكتلتين الكبيرتين ـ الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ـ كميات من الاسلحة النووية تكفي لتدمير بلدان أي منهما تدميرا تاما .. ولديهما ايضا من وسائل الالقاء ـ وسائل ايصال المقذوف النووي الى الهدف ـ ما يفوق سرعة الصوت . وفي حالة وقوع حرب نووية فان مدن ومصانع ومناطق التعدين ومراكز الانتاج والاعتدة الحربية

المخزونة والمواصلات في كلا الجانبين ستدمر تدميرا تاما في غضون بضع ساعات من بدء الحرب .. وتتكبد القوات المسلحة في ساحة المعركة خسائر كبيرة .. وما يتبقى في ساحة المعركة خلال اليومين الأوليين عبارة عن قوات محطمة تحطيا شديدا أملها قليل في الانقاذ أو الحصول على تعزيزات .

وبعد الانتهاء من تبادل الضربات الأولى يمكن ان تنشغل الجماعات المتخاصمة في فترة إعادة تنظيم .. وستوجه جميع الجهود لاعادة الأمور الحيوية باقصى سرعة ممكنة وبنفس الوقت تعرقل عمليات التنظيم بالهجمات المتواصلة التي يقوم بها كل طرف .. وبعد ان تكون الأمة قد اعادت البناء بشكل كاف توجه الجهود عندئذ نحو كسب الحرب .

ان استغلال التفوق النووي عندما تكون احدى القوتين قد حققت ذلك التفوق .. سوف يتم بصورة رئيسية بالقوات المحمولة جوا مستولية على مراكز المواصلات الحيوية .. ثم تقوم القوات الارضية بتطهير قوات العدو .. ولذلك تتطلب القوات الارضية قدرة زائدة على قابلية الحركة السريعة للعمليات الهجومية والدفاعية .. ويتميز ميدان المعركة بالانتشار الواسع للقطعات .. ووجود القوات الصغيرة الحجم القادرة على الضرب بشدة والعاملة مستقلة او شبه مستقلة فوق مناطق شاسعة .

وبسبب قابلية الدروع للحركة وقوة نارها .. وما يتوفر فيها من حماية جزئية ضد التأثيرات النووية .. فستكون هي القوة المسيطرة بلا شك في ميدان المعركة .. وستكون القوات المتحركة ذات القدرة على الضرب بشدة هي التي تستطيع الحصول على فوائد كبيرة بسبب قدرتها على المناورة لتقوم بالاختراق او حركات الالتفاف لتدمير قوات العدو ، ويعطي المثالان التاليان فكرة واضحة عن هول نتائج الضرب النووي تم الوصول اليها في تمرينين اجرتها الولايات المتحدة الامريكية : فكان التمرين الاول عام ١٩٥٨ لدراسة الآثار التي يمكن ان يخلفها هجوم حراري نووي على الولايات المتحدة .. وقد استنتج الخبراء انه بعد ٢٤ ساعة فقط تكون الولايات المتحدة قد خسرت ٣٦ مليون نسمة بالاضافة الى ٥٧ مليون جريح .. وربما كانت هذه النسب أقل بكثير عن الواقع لأن

الحساب قد جرى على اساس عدد السكان في التجمعات البشرية سنة ١٩٥٠ .. كما افترض ان ثلاثمئة قذيفة فقط هي التي نجحت في الوصول وسقطت على اهدافها وان الهجوم السوفيتي كان في وقت واحد على المطارات والمدن الأمريكية .. وهكذا فان ثلاثمئة قنبلة تستطيع ان تنزل عدد سكان الولايات المتحدة ليكون مساويا لعدد سكان بريطانيا .

أما التمرين الثاني الذي جرى مؤخرا فقد أشرفت عليه المنظمة الامريكية للدفاع المدني .. وكانت الفرضية ان ٢٦٣ قنبلة حرارية نووية من عيار ٥ ميغاطن « أي أنها تساوي قوة خمسة ملايين طن من المتفجرات الشديدة » القيت على ١١٤ هدفا مدنيا وعسكريا .. وان ١٠٩ قذائف يتراوح عيارها بين ١ ـ ١٠ ميغاطن ويبلغ مجموع طاقتها ٦٢٩ ميغاطن . قد القيت على ٧١ مدينة تضم اكثر من ٦٨ مليون نسمه .. أما الاهداف العسكريه من مطارات وقواعد صاروخية وتقاطع طرق استراتيجيه ... الخ فقد تلقت ١٥٤ قذيفة يبلغ مجموع طاقتها ٨١٧ ميغاطن .

وقد دلت الدراسات بنتيجة هذا التمرين إن كل ميغاطن واحد يلقى على التجمعات البشرية الامريكية يقابله ما يقرب من سبعين الف قتيل .. وان مجموع الخسائر قد بلغ ٤٢ مليون نسمه .. اما مدينة نيويورك وحدها فقد القيت عليها قذيفتان من عيار ١٠ ميغاطن فكانت خسائرها ستة ملايين نسمة وهذه الخسائر تمت خلال ٢٤ ساعة .. ونظرة سريعة فاحصة على ارقامها الهائلة التي تتطلب عشرات السنين لتعويضها يبين ما فيه الكفاية دور ردع العدوان .

ان الضغط على الزر لاطلاق الأسلحة النووية سواء اكانت للمباداة بالحرب أم للرد على الخصم الذي بدأ الحرب .. تحتاج الى حسابات دقيقة وتحضيرات مهيأة سلفا على مستوى الأمة .. ولكي تحقق السياسة الرادعة اهدافها فيجب ان تكون الية الضغط على الازرار النووية سرية للغاية .

ولتلافي الخطأ وتجنب الكارثة يجب إتخاذ التدابير اللازمة لبيان الصحيح .. والتخطيط

الدقيق ووسائط الضبط والمراقبة كفيلة بوضع حد للأخطاء التي قد تنجم عن الآلية والتسرع ، وقد أخطأت وسائط الانذار الآلية الامريكية خلال العامين المنصرمين مرتين منذرة بهجوم نووي ولكن التدقيق حال دون وقوع كارثة نووية ، ولا شك ان أي خطأ في هذا المجال سيكون من الصعب تداركه بعد انطلاق الصواريخ ، فلو بقي الأمر مقتصرا على القاذفات لأمكن الاتصال بها اثناء الطيران واعادتها الى قواعدها قبل ان تعبر حدود البلد المقصود لالقاء حمولتها من القنابل النووية أما بالنسبة لانطلاق الصواريخ فلا يتوفر لها سوى دقائق فقط .. ويلعب الموقع الجغرافي دورا هاما في تحديد الفترة الزمنيه المتيسرة لرئيس الدولة لاتخاذ القرار .. فالبعد الجغرافي للولايات المتحدة يعطيها ميزات لا تتمتع بها الدول الاوروبية المشتركة في حلف شمال الاطلسي .. وفي بداية الخمسينات عندما كانت القاذفات هي الوسيلة الوحيدة لحمل القنابل النووية ، كانت الفترة الزمنية المتيسرة لرئيس الولايات المتحدة الامريكية لاتخاذ القرار الحاسم بالرد تقدر في حدود ثلاث الى أربع ساعات .. أما بالنسبه لدول حلف الأطلسي في اوروبا فلم يكن أمامها سوى دقائق قليله لتتحول الطائرات السوفيتية التي تقوم بالتدريب والتحليق يوميا على مقربة من الحدود حتى تكون فوق أهدافها المطلوبة في أوروبا الغربية .

لقد طرأ على الاستراتيجية النووية والسياسة الرادعة لدول حلف الاطلسي تغيير من حيث ارتباطها بقرار رئيس الولايات المتحدة عندما قام الرئيس الفرنسي الجنرال ديغول ببناء قوة نووية ضاربة فرنسية واعتماد سياسة رادعة مستقلة تعتمد على وسائطها الخاصة .. وبرزت حجج الجنرال ديغول قوية في هذا المجال وثار حولها كثير من النقاش والجدل .. واتجه بعض التفكير الى ان الاتحاد السوفيتي لو قام بضرب غرب اوروبا بالسلاح النووي لاخضاعها وترك الولايات المتحدة في المرحلة الاولى فهل هناك ما يضمن ان تتخذ الولايات المتحدة القرار بالرد والانتقام ؟ وعلى هذا الأساس اعتمدت فرنسا على قوتها النووية الرادعة الخاصة بها .

نستطيع القول مما تقدم أن استراتيجية الردع النووي تطورت طبقا لتغير الظروف

المحيطة .. فظهرت استراتيجية الردع ضد قوات العدو النووية وتبعتها استراتيجية الردع ضد مدن العدو .. وكانت استراتيجية الردع في البداية ترتكز على الانتقام الشامل بهدف تدمير العدو تدميرا كاملا لو بدأ العدوان وكانت هذه الاستراتيجية قائمة عندما كان السلاح النووي وقفا على الولايات المتحدة .. ولا يملك الاتحاد السوفيتي السلاح النووي ليرد بضربة نووية مماثلة ، واخيرا عندما صارت الاسلحة النووية بحوزة الجانبين اتجه التفكير الى اقتران الاستراتيجية النووية بالاستراتيجية التقليدية وتبع ذلك الاهتمام بالقوات التقليدية ذات التسليح الحديث ، وتوفير قوات متكاملة منعا لتطور الصدام المحلي والحروب الصغيرة من أن تصبح حربا نووية .. وصار لمقدار الردع رأيان يقول أولهما إن « اقل ردع » يكفي لمنع قيام حرب نووية .. ويرى الثاني ان يزداد حجم الردع ليكون ردعا معينا .. قادرا على مواجهة تطور الظروف وكانت استراتيجية الرد المرن شكلا اخر للردع بواسطة توفر الاسلحة النووية والتقليدية باسلوب تدريجي مرن .

حسابات الدول النووية في عصر الصواريخ

كان لاكتشاف الطاقة النووية تأثير هام وبارز على سياسة إتخاذ القرار .. وخاصة بعد ان اصبح لدى القوتين العظميين مخزون من هذا السلاح .. وضرورة ان يكون رد الفعل حتميا وآلياً كي يدرك المعتدي قيمة المجازفة التي سيقدم عليها .. وهل يتناسب المغنم مع المجازفة ، وما سيتلقاه من ضربات انتقامية ، ومقدار الخسائر التي سيتعرض لها ، لذلك كان من الضروري ان تتخذ الدول الغربية كافة التدابير السياسية والادارية سلفا للقيام بالرد الفوري عند تعرضها لأي عدوان مهما كانت نتائج الضربة الاولى للعدو ..

ومن أمثلة ذلك ما صرح به الجنرال ايزنهاور في مؤتمر صحفي عقد يوم ٤ اذار ١٩٥٩ فقال ما يلي : « ان اعلان الحرب هو من مسئولية الكونغرس .. ولكنني أريد أن أوضح هنا بانه في بعض الحالات ، وخاصة عندما يتعلق الأمر بحياة الامة عندئذ لا يكون هناك متسع من الوقت فيجب على الرئيس ان يتخذ القرار » .

الجاسوسية

ميزة الجاسوسية انها مخفية وبمنتهى السرية منذ بدء الخليقة .. ولم يكن بمقدور الجواسيس الكشف عن شخصياتهم على اختلاف درجاتهم .. وكلما كان يكتشف الجاسوس اوكلما كانت الدلائل تشير الى طبيعة عمله كان يختفي أو ينقل من البلاد التي يؤدي فيها عمله .. أما في العصر النووي فقد اصبح كبار الجواسيس يعرفون بعضهم ويهزون حواجبهم باشارة التحية إذا التقوا في مناسبة الاحتفالات الرسمية وحفلات الاستقبال .. والسبب في ذلك هو التغيير الذي احدثته الطاقه النووية على مفاهيم البشر . نظرا لدقة وحساسية الظروف التي تحيط بقضايا إستخدامها والنتائج المترتبة على هذا .

وقد يكون الجاسوس الكبير أحد موظفي سفارة بلده ويعرف نظيره هناك ليتعامل معه عند الحاجة والضرورة القصوى .. وعندما وصلت ازمة الصواريخ في كوبا عام ١٩٦٢ الى حافة الحرب بين الدولتين الكبيرتين قام هؤلاء بعملهم بناء على تعليمات من حكوماتهم للحصول على الحد اللازم من مطالبها ليتم تقديم التنازلات والتراجع عن حافة الهاوية وهكذا كان .. وهذه أيضا احدى مفارقات العصر النووي .

آلية الرد على العدوان

لتكون القوة الضاربة المخصصة للانتقام رادعة فعلا .. يجب ان تتوفر لها الشروط التالية :

لتكون القوة الضاربة المخصصة للانتقام رادعة فعلا .. يجب ان تتوفر لها الشروط التالية :

إ . ان تكون محمية وبمأمن من التدمير اذا هوجمت تحت كافة الظروف والأحوال .

ب . ان تكون قادرة في تصميمها على تخطي دفاعات العدو ووسائطه وان يدرك العدو انها ستحمل الدمار اليه بكل تأكيد .

جـ . ان تكون منظمة لتعمل بصورة آلية مع اتخاذ كافة التدابير اللازمة لتنفيذ آلية الرد عند اي عدوان .

د . ان تكون قدرتها التدميرية كافية وكذلك كميتها مع الجاهزية لإخافة المعتدي . .

وقد اثبتت الدراسات ان كل شيء في مجال التدمير يتوقف على طبيعة الاهداف التي ينتخبها المدافع للرد .. فاذا قام المعتدي بالهجوم على القواعد الصاروخية ليأمن الضربات وردود الفعل الانتقامية .. فانه سيحتاج الى الاف الصواريخ ومع ذلك من المستحيل تدميرها نظرا لكون معظم قواعد الصواريخ متحركة ، بالاضافة الى تدابير وجود غير المتحركة في مأمن من الضربات المعادية ، وقد حصل تقدم كبير في هذا المجال خلال السنوات العشر الماضية . ونستنتج من ذلك ان البلد الذي يفاجأ بالعدوان لن يضيع صواريخه ليرد بها على قواعد صواريخ عدوه .. والتي ستكون خالية بدون شك ولا تشكل اهدافا ذات قيمة .. ولن يبقى امامه والحالة هذه سوى ضرب المدن الكبرى للمهاجم .. وهي اهداف ثمينة ومؤكدة لأن مواقعها لم تتغير ولا يمكن سترها . وفي حالة ضرب المدن الكبرى فأن بضع عشرات من القذائف النووية الحرارية تحدث دمارا فظيعا وتؤدي الى تحطيم البنية الاساسية والاجتماعية لأي بلد متمدن . ويمكن للجانب البادىء بالهجوم ان يتخذ تدابير لاخلاء السكان وتوزيعهم من اماكن التجمعات السكانية التي تشكل هدفا مغريا .. أو توفير الحماية لقسم منهم في بعض الحالات اذا كان يتوقع شيئا من رد الفعل لدى خصمه .. ولكنة ملزم بالمحافظة على اعلى درجات الكتمان ولن يفعل ذلك الا خلال ساعات معدودة قبل هجومه ليظل محافظا على مبدأ المفاجأة .. وأي خلل في هذه التدابير مهما كان بسيطا سيؤدي الى إنذار خصمه . ولو فرضنا ان البادىء بالعدوان نجح في تأمين سلامة اغلب السكان من الموت فانهم سيجدون مدتهم مدمرة تماما وارضها ملوثة وموبوءة . .

وقد قام احد الخبراء الامريكيين بعملية حسابية برهن فيها انه اذا كان بامكان قذيفتين من عيار ٥٠٠ كيلو طن ان تبيد ٥٠٪ من سكان مدينة يبلغ عدد سكانها

٩٠٠٫٠٠٠ نسمة منتشرين على مساحة مئة كيلو متر مربع ، فانه يلزم ستون قذيفة من نفس العيار لكي تحدث نفس الخسائر على نفس المكان اذا كان السكان ملتجئين بشكل مناسب .. وعليه فان التهديد بالانتقام النووي الموجه الى القوى البشرية هو الذي يعطي قوة الردع معانيها الهامة الواضحة ويكسبها القدرة الحقيقية .

وهذا ايضا احد تناقضات العصر النووي حيث يضطر المهاجم الى توجيه ضربته الاولى الى القوى الانتقامية للخصم وهي اهداف عسكرية بحتة .. بينما لا يجد المدافع أمامه بد من مهاجمة التجمعات السكانية لعدوه .

اعتبارات اخرى للترسانة النووية

الترسانه النووية لدول حلف وارسو هي الوحيدة الموجودة في الاتحاد السوفيتي وهي كفيلة بتغطية احتياجات قوات الحلف في حالة استعمال القذائف النووية ذات العيار الصغير في الميدان او استعمال الانواع الاخرى ذات العيار الاكبر في حالة المواجهة الشاملة ، اما في دول حلف الاطلسي فهناك ثلاث دول نووية هي الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا .. وتملك الولايات المتحدة الترسانة الكبرى من الاسلحة النووية ذات العيارات المختلفة لتغطية دول الحلف .. وتملك كل من بريطانيا وفرنسا ترسانة خاصة بها للإستعمال في حالة الحرب النووية ، بالاضافة الى ما تقدمه الولايات المتحدة الامريكية لدول اوروبا الغربية وما يمكن ان تخزنه في اراضي تلك الدول للمواجهة النووية .

وقد بيّنت في أول هذا الفصل القصد من القوة الضاربة الفرنسية واستعدادها للعمل منفردة اذا اقتضى الأمر . أما في حالة بريطانيا فان القوى النووية الانتقامية التي تملكها ليس أمامها من اهداف معقولة ومنطقية سوى ضرب المدن الكبرى المعادية .. وقد تضمن الكتاب الابيض البريطاني الصادر عام ١٩٥٧ العبارة التالية : « اقناع الجميع بأن اي عدوان يوجه ضد بريطانيا من شأنه ان يكلف اكثر مما يدر » وهذا يعني انها مضطرة الى

توجية ضربتها الى السكان المدنيين .

وعندما يضطر بلد بحجم بريطانيا لممارسة الردع ضد قوة كبيرة كالاتحاد السوفيتي فلا مناص من توجية التهديد بالثأر الى الاهداف التي هي بمتناول الوسائط البريطانية . اي الى المدن السوفيتية وهذا واقع ضمني دون اعلان صريح .. وهو السبل الوحيد الذي يمكن بريطانيا من ممارسة استراتيجية الردع ضد الاتحاد السوفيتي . واذا حدث خلاف بين بريطانيا والاتحاد السوفيتي مثلا ووصل الامر الى تبادل الضربات النووية فان الروس يدخلون في حسابهم ايضا احتمال تدخل الولايات المتحدة الامريكية .. ولن يبقى الامر محصورا بين بريطانيا والسوفيت نظرا لكون بريطانيا عضوا رئيسيا في حلف الاطلسي وتشكل جزءا من الدفاع الأمامي عن الولايات المتحدة ، وعلى هذا الاساس قد تعتبر امريكا نفسها مهددة ايضا وتجد في هذا النزاع فرصتها الذهبية لتصفية الحساب مرة واحدة اذا كان ذلك بمقدورها مع عدوها اللدود .. وعليه فان القوة النووية الرادعة في كل من بريطانيا وفرنسا على صغرها تشكلان تهديدا لايستهان به .. وحالما تبدأ عملها فستكون اشارة البدء للتراشق النووي والمواجهة الشاملة . وبذلك يشكل السلاح النووي بيد الضعفاء عود الثقاب لاشعال النار في الغابة الكبرى ..مما يجعل إحتمال ان يتجنب كل من العملاقين الكبيرين التحرش بالضعيف ، خوفا من ان يؤدي رد فعله الى زج الكبار في اتون حرب شاملة مدمرة .

ويعتقد معظم المنظرين العسكريين ان القوى النووية القليلة التي توجد بحوزة دول ضعيفة .. لن تشكل فتيلا لاشعال الحرب النووية بين المعسكرين الكبيرين بعد اختراع الصواريخ عابرة القارات التي تصل الى اي هدف على سطح الكرة الارضية .. وأخذ البعض يميل الى القول ان تدخل الولايات المتحدة الفوري لنجدة أي بلد صديق أصبح أقل إحتمالا .. ويعللون ذلك ان الولايات المتحدة الامريكية في مثل هذا الموقف ستجد نفسها أمام خيار عسكري صعب .. إذ عليها أن تقوم بتدمير القوى الانتقامية للخصم .. ولن يكون ذلك مضمونا لأن قوات الخصم تلك ستكون مهيأة ومستنفرة ومحمية إما بواسطة

الالتجاء او الحركة .. أو يترتب عليها ان تعدل عن ضرب هذه القوى وتتحمل رد فعلها الرهيب ، وان تدمير المدن السوفيتية لا يشكل صعوبة ويمكن تنفيذه ، ولكنه لا يؤدي الى تدمير القوى المضادة الفورية لدى الروس التي ستقوم بالرد وتدمير المدن الامريكية ... وربما أدى هذا الموقف الصعب الى استبعاد تدخل الولايات المتحدة لصالح بريطانيا مثلا .. لأن المرجح في حالة التدخل لصالح الآخرين ـ مهما كانت درجة صداقتهم ـ يجعل الحذر يأخذ اعتبارا مسيطرا على المجازفة .. ويحل التردد محل التصميم .. ومتى ايقن الاتحاد السوفيتي ان احتمال التدخل الأمريكي قد أصبح ضعيفا فانه يستعيد حريته في العمل ضد أي بلد في غربي اوروبا والاستفراد به .. ولكن ذلك لن يصبح ممكنا في حال تماسك الحلف الغربي والتصميم على الثأر .. ولا شك أن اي تهديد لدول حلف الاطلسي في غربي اوروبا ستعتبره الولايات المتحدة تهديداً مباشراً لها .

الفصل الرابع

استراتيجية الانتقام الشامل

وقعت الحرب الكورية بين عامي ١٩٥٠ و١٩٥٢ .. ولما اشتركت فيها الصين وجدت قوات الدول الغربية نفسها بمواجهة اعداد هائلة من القوة البشرية المنظمة اخذت تكتسح مواضعها .. وامام هذا الموقف جرى نقاش في الغرب حول ضرورة استخدام السلاح النووي على بعض الأهداف وخاصة ما كان منها خلف نهر « يالو » .. ولكن سابقة هيروشيما جعلت المعارضة في الغرب اشد .. ولم يتجرأ احد على تكرار هيروشيما او نجازاكي ثانية .

وأثناء حصار قلعة « ديان ـ بيان ـ فو » عام ١٩٥٤ من قبل قوات الجنرال جياب في الهند الصينية ظهرت الحاجة من جديد الى دراسة امكانية استخدام السلاح النووي .. ولكن الصراع لم يكن على مستوى التدخل النووي على ارض القارة الأسيوية .. وخشي الرأي العام في الغرب احتمالات تطور القتال هناك الى حرب عامة في حال استخدام السلاح النووي .

وفي عام ١٩٥٨ ظهرت الى حيز الوجود فكرة تشكيل « الاسطول الذري الامريكي » واستخدام افضل الأسلحة للمحافظة على الوضع القائم في بحر الصين .. وتدفقت أحدث الأسلحة الأمريكية على قوات الماريشال شان كاي شيك في جزيرة تايوان .. نتج عنها تشكيل قوات برية وجوية قادرة على ارض الجزيرة .. وقد تراجعت « بكين » امام التصميم الامريكي الذي أعلنه وزير خارجيتها جون فوستر دالاس .. وكان محور الصراع وقتئذ يدور بخصوص جزيرتي « كيموى » و« ماتسو » .. لأن رصيد الصراع لم يكن يتناسب مع كبر المجازفة .

ان الأمثلة الآنفة الذكر أعتبرت ذات اهمية ثانوية .. ولم تبرر اللجوء الى سلاح

الطيران الأستراتيجي الأمريكي ، الذي كان حتى هذا الوقت الذراع الطويلة للقوة الرادعة .. وبقيت القاذفات الأمريكية في تلك الحقبة تمارس دور الاحتياط ،، يمكن زجه لو تجاوز الصراع الحدود المرسومة له ...

سلاح الطيران الأستراتيجي .

قامت امريكا بتشكيل سلاح الطيران الاستراتيجي حيث تكلف عدة مليارات من الدولارات .. واستنفذ موارد علمية واساليب تقنية حديثة .. واعطت الحكومة الأمريكية لهذا السلاح اهتماما خاصا سار معه تطوير الأسلحة النووية والقوات الجوية جنبا الى جنب .. فظهرت انواع جديدة من قاذفات القنابل الأستراتيجية مثل ب ٣٦ ، ب ٤٧ ، ب٥٢ ، ب ٥٨ ، وتم تجهيز قوة جوية نووية متأهبة للرد على أي صدام مسلح بشن حرب نووية شاملة .. واحتفظ بحوالي ألفي قاذفة قنابل على درجة استعداد عالية للقتال .. وحدد لها اهداف معينة في اراضي الأتحاد السوفياتي لتقوم بضربها بمجرد صدور الأمر بذلك .. وكان باستطاعة سلاح الطيران الأستراتيجي هذا إبادة قارة بكاملها .. حيث توفرت له قدرة هائلة رهيبة تجبر الجيش السوفياتي الكبير على التزام الحذر .. وعلاوة على ذلك كانت سياسة الاحلاف العسكرية لاحاطة الاتحاد السوفييتي بها كالحلف المركزي .. وحلف جنوب شرقي آسيا .. وجرى انشاء القواعد الجوية في دول الأحلاف زيادة عما كان مقاما في دول حلف شمال الاطلسي .. مع تزويد هذه القواعد بالاسلحة النووية ليمكن شن الهجوم منها .. ولكي تهبط فيها الطائرات الأستراتيجية القادمة من امريكا للتزود بالوقود .

استراتيجية الانتقام الشامل .

في كانون الثاني عام ١٩٥٤ أعلن وزير الخارجية الأمريكية جون فوستر دالاس .. ان الرئيس ايزنهاور ومجلس الأمن القومي الأمريكي قد اتخذا قرارا أساسيا بالاعتماد على قوة كبيرة قادرة على الانتقام النووي .. يكون لنا الخيار بتحديد محل وطريقة استخدامها ..

وقد فسر هذا التصريح على انه استراتيجية جديدة للولايات المتحدة ، تعتمد على استخدام الأسلحة النووية .. وهي استراتيجية تأثيرها أشد وتكاليفها اقل .. تعتمد على الضرب والثأر اكثر مما تعتمد على قوات الدفاع المحلي .

وقد شرح ليدل هارت فكرة هذه الاستراتيجية في مفاهيم ثلاثة يقضي أولها باستخدام الأسلحة النووية لضرب روسيا واخراجها من المعركة .. ويقضي الثاني بصد أي غزو سوفييتي باستخدام الأسلحة الذرية التعبوية في جبهة العدوان .. ويتضمن المفهوم الثالث اقامةسدود وحواجز من القوات المنتشرة في نطاق يمتد حول العالم الشيوعي لمنعه من القيام بأي هجوم .

برزت استراتيجية الانتقام الشامل بعد الحرب الكورية .. حيث انتقل ضغط حركات التحرر الى منطقة جنوب شرق آسيا بمساعدة العالم الشيوعي من كل من الاتحاد السوفيتي والصين .. وساء موقف فرنسا في الهند الصينية ، عندما اخذت قوات فيتنام الشمالية تحرز الانتصارات المتتابعة .. وازدادت مساعدات الصين لقوات فيتنام .. وفي ١٣ آذار ١٩٥٤ شنت قوات فيتنام هجومها الكبير على قلعة « ديان ـ بيان فو » .. وأصبح واضحا ان مركز فرنسا على وشك الزوال وانها لن تستطيع حماية وجودها دون التدخل العسكري الأمريكي .

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية قد تدخلت في الهند الصينية بمساعدات اقتصادية وعسكرية حتى ذلك الوقت لدعم الفرنسيين .. وبلغت هذه المساعدات اكثر من ٧٥٪ من تكاليف الحرب حتى عام ١٩٥٣م .

وأمام التهديد الخطير الماثل في الهند الصينية اعلن الرئيس ايزنهاور ان سقوط هذه البلاد سيترتب عليه نتائج خطيرة ، .من وجهة النظر الأمريكية ، نظرا لأهمية هذه المنطقة في الدفاع عن الأمن القومي للولايات المتحدة .. كما صرح وزير الخارجية الأمريكية دالاس ان أي تدخل صيني بطريق مباشر أو غير مباشر ، في هذه الحرب ، سوف يتسبب

في خلق اوضاع خطيرة .. يتعدى مداها الهند الصينية الى غيرها من مناطق العالم .. وصدرت تهديدات اخرى عديدة من المسؤولين الأمريكيين محذرة من التدخل الشيوعي ، وخاصة تدخل الصين .. ووصلت تقديرات الموقف من قبل الامريكيين ان فرض النظام السياسي للاتحاد السوفيتي والصين على جنوب شرق آسيا .. بأنه وسيلة ، سوف ينجم عنها تهديد خطير للعالم الحر بأسره .. وان مثل هذه المحاولة ستقابل من قبل الغرب بعمل جماعي رغم ما ينطوي عليه هذا العمل من مخاطر . واعتبروا مثل هذه المخاطر أقل من التي يتعرض لها الغرب لو تخاذل امام التهديد في هذه المنطقة .

وعندما اعلن دالاس استراتيجية الانتقام الشامل قال : انها الطريقة الوحيدة لوقف أي معتد ، لأنها تقنعه مقدما انه سيتلقى ضربا انتقاميا شاملا اذا لجأ الى العدوان .. كما أن استخدام الأسلحة الذرية ضد أي عدوان سيؤدي الى استعادة حرية الدول التي سيطر عليها الشيوعيون .. وتحمي الدول التي تتعرض لمثل هذا العدوان .

تطبيق استراتيجية الانتقام الشامل

تجاهلت الصين تهديدات أمريكا وزادت من تقديم المساعدات الى قوات فيتنام ووجدت الولايات المتحدة نفسها امام امرين : اما القيام بالقصف الجوي لاعاقة الزحف الشيوعي او مهاجمة الصين ذاتها تنفيذا لاستراتيجية الانتقام الشامل .. وانقسم الرأي العام في الدول الغربية على نفسه رغم ان الأمر يتعلق بأمنها وسلامتها .. حدث انقسام في الرأي العام في بريطانيا مثلا .. وفي ايار ١٩٥٤ قبل سقوط قلعة ديان ـ بيان ـ فو بقليل وقف « كريستيان بينو » وأعلن امام الجمعية الوطنية الفرنسية ما يلي : « ايها الزملاء الاعزاء ، يجب ألا ننساق وراء سراب تدخل لا نعلم اذا كان باستطاعته انقاذ حامية ديان ـ بيان ـ فو ، بينما نعلم أن من شأنه تصعيد الحرب مع احتمال امتدادها الى العالم كله » ، وكان يقصد بذلك التدخل الأمريكي الذي طلبه السيد « بيدو » وزير خارجية فرنسا آنذاك والذي كتبت عنه احدى الصحف الفرنسية ما يلي : « **كان مشروع التدخل**

الامريكي بناء على طلبنا ، موضع دراسة وإعداد الحكومة الأمريكية ، بل كان على وشك ان يوضع موضع التنفيذ . وقد كشفت لنا الصحافة الامريكية المطلعة على القضايا التي تهمنا اكثر من البرلمان الفرنسي نفسه ، بأن التدخل الأمريكي في « ديان ـ بيان ـ فو » سيتم في ٢٨ نيسان ، وان السفن في طريقها الى المنطقة ، محملة بالصواريخ الذرية ، وان الرئيس ايزنهاور سوف يطلب موافقة الكونغرس في ٢٦ نيسان ...... » .

وهكذا عارض التدخل الأمريكي البلد الذي احتاج الى هذا التدخل خوفا من تصعيد الحرب وامتدادها الى العالم كله .. كما ان الولايات المتحدة في ذلك الوقت لم تكن تملك القوات البرية الكافية لدخول حرب شاملة ضد الصين ، وان قيادة الجيش الأمريكي طلبت تجنب التدخل .. واعتمد على القصف الجوي الذي كان غير مجد وحده ضد قوات فيتنام .. ويعتقد ان الحكومة الامريكية خشيت ان يؤدي هجومها على الصين الى تدخل روسيا في الحرب .. وقامت بريطانيا بالضغط على واشنطن عام ١٩٥٤ لكي تترك « ديان ـ بيان ـ فو » لمصيرها المحتوم .. ولم تستطع واشنطن ممارسة حرية العمل لتطبيق هذه الاستراتيجية ، لذلك لجأت الحكومة الفرنسية الى سياسة المفاوضات في جنيف والتفت حول هذه السياسة الاغلبية الساحقة من الرأي العام الفرنسي والجماهير ، وفي ٢٠ تموز ١٩٥٤ وقعت اتفاقية الهدنة بتقسيم فيتنام الى قسمين عند خط العرض ١٧ شمالا .. فيتنام الشمالية بسيطرة الشيوعيين ، والجنوبية بسيطرة الموالين للغرب .

وقد علل خبراء الاستراتيجية سبب الفشل في تنفيذ استراتيجية الانتقام الشامل وعدم تحقيق الأهداف المحددة لها الى ان فكرة الردع هذه كانت نفسية اكثر منها واقعية .. وان الاتحاد السوفيتي والصين كانتا على قناعة ان الولايات المتحدة لن تلجأ الى انتقام شامل الا في حالة وقوع هجوم عليها او على حلفائها في اوروبا .. ولذلك اصبحت هذه الاستراتيجية عديمة الجدوى بعد ان فقدت تأثيرها .. وهي التي قامت بشكل خاص على اساس التقليل من اهمية القوات البرية .. وقال عنها الامريكيون : « بأنها اثبتت بطريقة

لا تقبل الشك عدم قابليتها للحركة والتصرف في مواجهة الحروب المحدودة والنزاعات المحلية .. وقد اثارت الذعر في حكومات حلفاء امريكا باللجوء الى التهديد بالحرب في كل مناسبة .. وفشلت في التأثير على اعدائها وانتهت اخيرا بالشلل والعجز» ..

وقالت لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكي في نقدها لهذه الاستراتيجية : « **ان انتهاء احتكار امريكا للقوة النووية ، ونمو الامكانات الاستراتيجية للاتحاد السوفيتي ، قد زادت من الصعاب المتعلقة بخلق وضع عسكري يضمن للدبلوماسية الأمريكية تحقيق اهدافها** » . **وأضافت اللجنة ان المركز العسكري للولايات المتحدة الامريكية قد تدهور واصبحت هذه الدولة التي تمتعت بأمن حقيقي في الماضي ، هدفا سهلا للهجوم المباشر .**

وفي فترة التفوق الامريكي في الأسلحة النووية ووسائل نقلها .. جرت عدة احداث هامة قام بها الاتحاد السوفيتي فحاول مدة نفوذه الى ايران وإقامة نظام شيوعي في اليونان ، وسيطر على الصين وتم حصار برلين .. وتدخلت الصين في الحرب الكورية بشكل سافر وساعدت قوات فيتنام .. ولم تلجأ الولايات المتحدة الى استخدام تفوقها او تنفذ المبادئ الاستراتيجية التي اعتمدتها وخططت لها . وعجزت عن تحقيق اهدافها في الحرب الكورية .. وبقيت أسيرة نظرية استراتيجية لم تجد من السهل تنفيذها .

كان التفوق الأمريكي في هذه الفترة يعتمد على ما تملكه الولايات المتحدة من اسلحة نووية ووسائل نقلها الى اهدافها .. اكثر من حيث الكمية والنوعية مما يملكه الاتحاد السوفيتي .. واقتنع الأمريكيون أن الاتحاد السوفيتي غير قادر على تعريض الولايات المتحدة للرد بشن حرب نووية اذا نفذوا سياسة الانتقام الشامل .. رغم ما يملكه الروس من اسلحة نووية وطائرات استراتيجية .. نظرا لقصر مدى الطائرات عن الوصول الى اهدافها والعودة الى قواعدها .. ولوجود دفاع جوي امريكي قوي منيع .

الصواريخ والأقمار الصناعية

اعلن الروس في آب ١٩٥٧ إنهم اطلقوا بنجاح ، صاروخاً اندفاعياً عابراً للقارات .. وان بأمكانهم ان يصيبوا بصواريخهم اية نقطة في العالم .. وتبع ذلك اطلاق اول قمر صناعي في تشرين الاول من نفس السنة ليدور حول الأرض .. وكان ذلك ايذانا لشعوب العالم انه لا وجود اطلاقا للدفاع .. وبرهن على ان الاتحاد السوفيتي احتل الطليعة في ميدان الصواريخ ولهذا اهمية استراتيجية وسياسية وعسكرية عظيمة .

وفي بداية عام ١٩٥٩ نجح الروس في اطلاق صاروخ الى القمر ، وكان هذا انتصارا علميا اكبر من القمر الصناعي الاول الذي اطلق قبل خمسة عشر شهرا .. وقد وصل الروس الى دقة في التصويب للصواريخ الموجهة بلغت حدا مذهلا .. فالخطأ عندهم في التصويب لا يتعدى ٢٪ على هدف يقع على بعد ربع مليون ميل .. بالرغم من تعقيدات الزمن الذي يستغرقه وصول هذا الصاروخ الى هدفه .. وبرغم قوى الجاذبية الارضية .. وهذه الدقة في التصويب التي وصل اليها الروس هي اعلى بعشر مرات من الدقة التي وصل اليها الأمريكيون عندما ارسلوا صاروخهم الموجه قبل عدة أشهر . فاذا بلغ الروس هذه الدقة في التصويب على مسافة ربع مليون ميل .. فأنهم ولا شك لن يجدوا صعوبة في وضع عدة قنابل هيروجينية في اهدافها المقررة اذا كانت هذه الاهداف لا تبعد سوى ثلاثة الاف او خمسة الاف ميل .. انهم سيضعون القنابل في الهدف بتصويب دقيق من شأنه ان يدمر المدن الكبرى والمراكز الصناعية الامريكية .. مخلفين الفناء المطلق لسكان تلك المدن وللعاملين في تلك المراكز الصناعية ..

وفقدت بذلك الاستراتيجية الدفاعية الامريكية اكثر وسائلها مناعة .. حيث ضاعت مزايا البعد الجغرافي والمسافات الشاسعة التي كانت تتمتع بها القارة الأمريكية وارتكز عليها الأمن الأمريكي .. وصارت الاراضي الامريكية واية نقطة فيها واقعة ضمن مدى الأسلحة النووية للجانب الآخر .

وكان هذا ايضا بمثابة تحطيم للسد الذي يحمي حلف الاطلسي .. مع ان ذلك لا يعني أبدا ان القيادة الجوية الأستراتيجية الأمريكية لم تعد تشكل حماية للغرب بطاقاتها النووية المدمرة .. بل ستبقى عامل تثبيط للطرف الآخر . وتعمل كحماية غير مباشرة ضد أي هجوم ذري طالما تكفي قدرة الانتقام لديها لمنع اية محاولة للهجوم الذري شبيه بالهجوم على بيرل هاربر ،، والتي من شأنها ان تثير الانتحار المتبادل .. وقد صار من المشكوك فيه ان يبقى الهجوم المباشر الشامل الرادع كافيا للرد على اشكال من الهجوم اقل حدة او لصد اي غزو مهم بالاسلحة التقليدية .

ان التعادل الذري يقود الى العدم الذري نظرا لأن الانتحار المتبادل الذي ينتج عن استخدام مثل هذه الأسلحة يقود الى الجدب الأستراتيجي . بل اكثر من هذا فأن المساواة في الميدان لا تتطلب المساواة العددية في مجموع القنابل المدمرة التي يملكها كل من الفريقين المتحاربين .. فان الدمار الشامل يحتاج الى عدد محدود من القنابل الهيدروجينية .. وما دام اي فريق من الأثنين يملك عددا من القنابل يكفي لتحقيق هذا الدمار .. فليس من المهم ان يتفوق عليه خصمه بعدد القنابل .. فالعدد هنا لا يفيد .. المهم في هذه المعركة ان يملك أي فريق الحد الادنى من القنابل الذي يكفي لتدمير الطاقة الرئيسية لخصمه كالعاصمة مثلا والمراكز الصناعية الكبرى .. وان مجرد احتمال وجود الحد الادنى من القنابل الهيدروجينية او الذرية كاف في حد ذاته ليحدث في المعسكر الآخر شللا في ارادته .. وقد احتفظت امريكا لنفسها حينما اخترعت القنبلة الذرية بميزة استراتيجية مؤقتة .. الا ان الظروف جاءت فالغت هذه الميزة .

الفصل الخامس

استراتيجية الحرب المحدودة

استمرت استراتيجية الانتقام الشامل التي بحثناها في الفصل السابق .. عاملة طوال حقبة الخمسينات .. ولاعتبارات عدة تعذر تطبيق تلك الاستراتيجية من قبل الولايات المتحدة .. ومن هذه الاعتبارات الرأي العام في الغرب ، وعدم تقبله ضربة نووية على غرار هيروشيا .. وخشية تطور الصدامات المحلية الى صراع عالمي .. وكانت هناك مواقف متصلبة وحازمة من كلا العسكريين ... وحتى عندما كان السلاح النووي وقفا على الولايات المتحدة من ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩ قام الاتحاد السوفيتي بعملية حصار برلين عام ١٩٤٨ .

ونتيجة لظهور بوادرفشل استراتيجية الانتقام الشامل وخاصة في النصف الثاني من حقبة الخمسينات .. نظرا لامتلاك السوفيت الصواريخ العابرة للقارات واطلاق اقمارهم الصناعية اعتبارا من عام ١٩٥٧ .. عندئذ وجدت الدوائر الأمريكية المسئولة نفسها امام حقيقة ان الحرب يمكن ان تنتقل الى القارة الامريكية ، ونشطت الدراسات بين عامي ١٩٥٦ ـ ١٩٥٨ بموضوع الحرب المحدودة .. وقام رجال الاستراتيجية وقادة الفكر العسكري ومعاهد الابحاث المختلفة ، مثل معهد استنافورد ، ومعهد ابحاث روكفلر ، وجامعة هوبكنز ، بأجراء دراسات عسكرية مستفيضة .. وخرجت بسيل من الكتب والمقالات والأبحاث ، اجمعت كلها على نقد استراتيجية الردع الممثلة في الانتقام الشامل .. واتفق القادة ورجال الفكر الامريكيون على عدم صلاحية تلك الاستراتيجية .

ونتيجة لذلك أخذ الفكر العسكري الأمريكي يميل لتبني استراتيجية الحرب المحدودة أو الحرب المحلية .. وقد عرف الجنرال مكسويل تيلور رئيس الاركان الامريكي السابق ، عرف الحرب المحلية بأنها :« **الصدام الحربي الذي يستخدم فيه قدر من الأسلحة**

وتجري مثل هذه الحرب في مسرح عمليات محدد .. وغالبا ما يكون هذا المسرح في المناطق المتخلفة أو بطيئـة التطـور في افـريقيا وبعض مناطـق آسيا وأمـريكا اللاتينية .. وقال ان خلاصة مفهوم هذه الحرب هو ان الدولة التي تشنها تملك قوة عسكرية تفوق كثيرا ما يستخدم منها في الحرب المحدودة » .

وقد ذكر الجنرال الروسي ستروكوف في كتابه « تاريخ فن الحرب » ان استراتيجية الانتقام الشامل كانت مبنية على أساس تفوق الولايات المتحدة على الاتحاد السوفيتي في الوسائط النووية .. وذلك حسب تقديرات القادة الامريكيين ... ولكن هذه التقـديرات كانت باطلة .. وقد اعترف بذلك عدد من المسؤولين في الولايات المتحدة ، وفي دول حلف الاطلسي حتى ان لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس الأمريكي عام ١٩٦٠ اعترفت بتفوق الأتحاد السوفيتي على الولايات المتحدة في مضمار الأسلحة النووية .

تعريف الحـرب المحــدودة

عرف كلاوزفتش الحرب المطلقة بانها الحرب التي تهدف الى القضاء على القوات الرئيسية لأحد الجانبين باستخدام كل امكانات الجانب الآخر .

اما تعريفه للحرب المحدودة فكان كما يلي : **« انها تهدف الى تحقيق هدف محدود مثل الأستيلاء على جز من اقليم الدولة ، وهنا لا يكون القضاء على قوات العدو الرئيسية هدفا ، وان كان من اللازم ارغامها على قبول تحقيق الهدف المحدود » .**

وعندما ناقش كوربت تعريف كلاوزفتش هذا في عام ١٩١١ أوضح ذلك على النحو التالي : أن الفرق بين الحرب المحدودة والحرب المطلقة لا يتوقف أساسا على أهمية هدف الحرب بقدر ما يتوقف على عزل العدو من الوجهة الأستراتيجية .

وعرف هنري كيسنجر عندما كان استنادا للعلوم السياسية . بجامعة هارفارد الحرب المحدودة في كتابه « الاسلحة النووية والسياسية الخارجية » بأنها : **الحرب التي تشن من**

اجل تحقيق اهداف سياسية محدودة ، ويخوضها جزء من القوات المسلحة مناسب للهدف المطلوب تحقيقه ، وتهدف الى تغيير ارادة الجانب الآخر وليس سحقها ، ويكون النضال فيها من اجل تحقيق هدف محدد ، وليس من اجل القضاء الشامل على الجانب الآخر ، الذي يقتنع بأن قبول الشروط الموضوعة له اجدى من المقاومة .» .

وقد اوضح كيسنجر في كتابه ضرورة استعداد الولايات المتحدة الأمريكية لخوض حروب محدودة تستخدم فيها الأسلحة النووية التعبوية .

وفي عام ١٩٥٦ اقترح هادلي تكوين فرقة جوية أمريكية مزودة بأسلحة نووية تعبوية صغيرة للتحليق فوق مناطق معينة ، وتكون على استعداد لخوض اية حروب صغيرة يشعلها الشيوعيون .

نشوء فكرة الحرب المحدودة ونقدها

بعد قنبلتي هيروشيا ونجازاكي في آب ١٩٤٥ دخل العالم العصر الذري .. وفتح العلماء والقادة العسكريون عيونهم على اهوال تأثير السلاح الجديد .. ولكن الاهوال تعاظمت بعد الوصول الى القنبلية الهيدروجينية بعد عام ١٩٥٣ .

ولم تمض ثلاث سنوات على نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اخذت صناعة الأسلحة النووية تأخذ اشكالا مختلفة من التطور .. وكان السلاح النووي حتى هذا الوقت وقفا على الولايات المتحدة .. فظهرت فكرة استخدامها في الحرب المحدودة .. ولاقت هذه الفكرة اهتماما خاصا على مستوى الدراسات الاستراتيجية في اوساط المتخصصين في هذه الدراسات .. وفي مراكز الابحاث الاستراتيجية .. والأوساط العسكرية أو في الأوساط الأكاديمية في الجامعات .

قامت هذه الدراسات على فكرتين رئيسيتين :

الأولى ، تقضي بضرورة ان تكون الحرب محدودة في اضيق نطاق .. لأن الحرب النووية الشاملة ستصيب العالم بالدمار والخراب وانتهاء المدينة ..

والثانية ، ان استخدام الأسلحة النووية أصبح ممكنا في الحرب المحدودة بعد ان اخذت هذه الأسلحة نصيبا من التطور .. ويتبع ذلك بصورة تلقائية اعادة النظر في أساليب القتال ..

وتتابعت هذه الدراسات شاملة النواحي الفنية لاستخدام الاسلحة النووية في المعارك .. مع بيان طريقة استخدامها في الحروب المحدودة .. ومزايا هذا الاستخدام .. وكانت اهم النتائج التي توصلت اليها هذه الدراسات هي :

أ . قلة تكاليف انتاج الأسلحة النووية نسبيا اذا ما قورنت بالاسلحة التقليدية .

ب . وفرة وتعدد انواع هذه الأسلحة وهذا عامل مهم في باب المرونة .

جـ . استخدام الأسلحة النووية في حرب محدودة يجب ان يقتصر على الميدان الأوروبي كتعويض عن ميزة التفوق البشري الذي تمتلكه الكتلة الشرقية في هذا الميدان .. واعتقد المنظرون الغربيون ان هذا الاستخدام سيرجح كفة الدول الغربية لتفوقها التكنولوجي في هذا الميدان .

د . ينبغي عدم استخدام الأسلحة النووية الا في الحالات الضرورية جدا لأحباط العدوان .

وبعد ان توصلت الولايات المتحدة الى القنبلة الهيدروجينية عام ١٩٥٤ اعلن البنتاغون انه اعد برنامجا عسكريا جديدا يتضمن فكرا استراتيجيا جديدا .. وان هذا البرنامج قد صودق عليه .. وقد ابرزت الحسابات الأولية اهمية المزايا الأقتصادية لهذا البرنامج . ففي عام ١٩٥٧ سيتناقص حجم القوات المسلحة للولايات المتحدة تبعا لما يؤمل من هذا البرنامج من ٣٫٤٥٠٫٠٠٠ الى ٢٫٨١٥٫٠٠٠ رجل أي انه يقتصد بما يعادل ثلثي المليون من الرجال وهي نسبة ١٨٪ من النسبة العاملة .. وسيكون النقص في الجيش البري بمقدار ٣٠٪ وكل هذا يعنى اقتصادا في الميزانية المالية بما يعادل من ٤ ـ ٦ مليار دولار سنويا .

والاقتصاد في النفقات ينبغي ان يرتبط بفاعلية القوات وقدرتها . وسيبقى حجم الجيش البري عشرون فرقة لكنها مضغوطة وكذلك بالنسبة للبحرية . اما الطيران فسيعزز في الحاضر بقوى جاهزة للاشتراك في العمليات وله الافضلية الأولى في هذا البرنامج .

ولكن في شهر كانون الثاني من نفس العام اعلن دالاس : ان الدفاع المحلي ينبغي ان يعزز بالهجوم المباشر الشامل الرادع لقوة ضخمة للانتقام « استراتيجية الانتقام الشامل » وحدد ملامح السياسة الجديدة بأنها قرار رئيسي يستند اساسا الى طاقة مهمة للانتقام بوسائل وفي أمكنة من اختيارنا كما صرح نائب الرئيس الامريكي قائلا : لقد طبقنا مبدأ جديدا سنعتمد في المستقبل على قوى انتقامية جماعية ومتحركة .. بدلا من ان نترك الشيوعيين يقضمون فينا حتى الموت في حرب صغيرة وفي اي مكان في العالم .

وكان طبيعيا ان هذا التصريح يعني التهديد بالقصف الاستراتيجي بأسلحة التدمير الجماعية الجديدة .. وكان له صدى التهديد الخطير وخاصة انه صدر بعد اجراء تفجير القنبلة الهيدروجينية في بكيني في أول اذار عام ١٩٥٤ .. وكانت الصور التي أخذت لهذا التفجير مرعبة واثاره اكثر ضجيجا من تصريح رئيس لجنة الطاقة الذرية الاميرال ستراون والذي قال فيه : ان قنبلة هيدروجينية واحدة تستطيع ان تدمر مدينة .

تعرضت نظرية كيسنجر الآنفة الذكر حول الحرب المحدودة للنقد وشدد بعض النقاد بقولهم : ليس هناك دلائل او ضمانات تشير الى ان جيشا مزودا بالاسلحة النووية ، وهو الجيش السوفيتي لا يكون قادرا على هزيمة جيش اصغر مزود بنفس الأسلحة .. وان استخدام اي نوع من الأسلحة النووية ذات العيار الصغير في حرب محدودة سيتضمن احتمالات كثيرة لقيام مواجهة نووية شاملة .. ولا بد من توفر شروط معينة لبقاء الحرب محدودة .. وهذه الشروط هي :

أ . ان تكون اهدافها السياسية محدودة وواضحة لا لبس فيها .
ب . ان تستخدم فيها وسائل وأسلحة يمكن السيطرة عليها .

جـ . ان تكون محصورة في نطاق جغرافي محدد .

د . ان تتفق نية الأطرلف المشتركة فيها على ابقائها محدودة ـ وهذا يقضي الا يستخدم في الحرب المحدودة الا الأسلحة التقليدية .. اما الأسلحة النووية بنوعيها فلا تستخدم الا في حالة الدفاع عن المدن الأمريكية ذاتها ضد اي هجوم سوفيتي .

وعارض كثير من البارزين في امريكا نظرية الحرب المحدودة مثل بول نيتز ووليام كوفمان وبرنارد برودي بدعوى أن الحجج التي نادت بجدوى استخدام الأسلحة النووية في الحرب المحدودة قد قامت على الارتجال والتسرع .. وضرورة الاستناد الى اساس قوي في تحليل طبيعة المشكلة .. وهناك عامل آخر وقف حاجزا أمام امكانية الحرب المحدودة وعدم ضمان تحويلها الى حرب شاملة مدمرة ، وهو النمو المضطرد في مخزون الاتحاد السوفيتي من هذه الاسلحة والصواريخ بعيدة المدى . وبعد امتلاك كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة للقنابل الهيدروجينية اصبح التفتيش عن النصر بأية وسيلة مؤذيا وضارا اكثر من كونه عديم النفع والقيمة .. وقد صرح ماريشال القوة الجوية الملكية البريطانية السير جون سليسور في بياناته عن التطور الجديد في الاستراتيجية الذي احدثه تحالف القوة الجوية مع الطاقة الذرية قائلا :

اني اعتقد ان النتيجة الأولى لهذه الثورة أو التطورـ التي لها مدى بعيد هو أن الحرب الشاملة التي عرفناها في الأربعين عاما الأخيرة ، اصبحت ملكا للماضي .. ان الحرب الشاملة في عصرنا تعنى الانتحار العام وانتهاء المدنية كما نعرفها نحن ..

بعد هذا العرض لنظرية الحرب المحدودة علينا ان نحلل هل تبقى مثل هذه الحرب محدودة اذا استخدمت فيها الأسلحة النووية ؟ حتى لو توافرت لها الشروط المذكورة سابقا مثل تحديد الأهداف وتحديد الأسلحة المستخدمة ومسرح العمليات المحدد والنطاق الجغرافي ، اما الشرط الرابع وهو اتفاق نية الاطرلف المشتركة فيها فلا يمكن التكهن بذلك .

فتحديد هدف الحرب لا يضمن عدم امتدادها .. وذلك لظهور عدة عوامل مؤثرة غير

محسوبة .. ولأن النصر المرحلي قد يغري أحد الاطراف لطلب المزيد .. وان الطرف الآخر لن يقبل الهزيمة والتسليم بالهدف المطلوب من غريمه ما دام يمتلك وسائل النصر والأسلحة المساوية أو المتفوقة في بعض المجالات ... مما يدفعه الى توسيع الحرب المحدودة ليحقق اهدافا يعوض بها ما فقده ... واخيرا فان سوء التقدير للاطراف المتصارعة قد يلعب دورا خفيا في توسيع الحرب .. وخاصة سوء تقدير نوايا الطرف الآخر حيث يتساءل كل طرف ماذا بعد ذلك ؟ .

اما تحديد مسرح العمليات فلن يضمن ابقاء الحرب محدودة ايضا .. لأن من يخسر الحرب في مسرح ، فأنه يهدف الى تحقيق النصر في مسرح آخر ، ما دام يمتلك الوسيلة لذلك .. وهكذا تمتد الحرب تدريجيا لتشمل عدة مسارح ويتسع نطاقها ويشتد الصراع .

اما تحديد نوع الأسلحة المستخدمة وامكانية السيطرة عليها لابقاء الحرب محدودة فهو عامل ضعيف جدا للركون اليه .. لان المهزوم لن يقبل الهزيمة اذا امتلك أسلحة النصر .. ولا يمكن التنبؤ بما سيقوم به كل طرف من استعمال اسلحته النووية ساعة بعد ساعة ... مما يؤدي الى تضارب التقدير والتدرج في استعمال الأسلحة الأقوى .. ويصل الموقف الى استخدام الطرفين اسلحة الحرب الشاملة .

الخلاصة

مما تقدم نصل الى خلاصة مفادها ان الحرب المحدودة اذا وقعت فليس هناك ضمان لابقائها كذلك ، الا اذا اتفقت نية الاطراف المتحاربة ومصالحها على ذلك . وكان كل منهما مليا ومدركا بلا ادنى شك للحد الأقصى الذي يمكن ان يقبله الجانب الاخر ... وربما كان هذا مقبولا في حرب محدودة تستخدم فيها الاسلحة التقليدية فقط .. اما اذا استخدمت فيها الأسلحة النووية فان قوة التدمير الشامل والآثار المترتبة على ذلك ، قد يطور الحرب الى حرب شاملة تستخدم فيها كافة وسائط القوة النووية في جميع مسارح المجابهة الممكنة بين الاطراف .

ومن هنا جاء التعارض الواضح بين نظرية الحرب المحدودة واستخدام الأسلحة النووية فيها .. بعد ان اصبح الطرفان يمتلكان احتياطات كبيرة من الأسلحة النووية التعبوية والاستراتيجية .. ووسائل اطلاقها وايصالها الى اهدافها .. مما أوجد ردعا متبادلا يخافه الطرفان ويمنعهما من استخدام هذه الأسلحة .

واخيرا لاقت استراتيجية الانتقام الشامل التي شرحناها في الفصل الرابع واستراتيجية الحرب المحدودة .. نقداً ومشاكل عدة بسبب التطور المستمر في صناعة الأسلحة النووية ووسائل اطلاقها وايصالها الى اهدافها بدقة .. وان تطور مثل هذه الأسلحة تجلب النهايات السيئة وتحول اكثر الدول قوة الى دول عاقلة في تقديراتها عن كل ما هو حيوي بالنسبة لها .. وخاصة عندما ينبغي ان توضع هذه التقديرات موضع التنفيذ .. فمن السهل ان نرسم خطوطا على الخارطة في مؤتمر من المؤتمرات .. وان نصرخ بأن كل اعتداء على هذه الحدود يثير فورا انتقاما شاملا بواسطة الأسلحة النووية ... ولكن الأمر لن يكون واقعيا بالنسبة للبلدان الصغيرة المحمية بالمظلة النووية لأي من العملاقين النوويين . لأنها لا تريد ان ينفذ من يحميها عملا متطرفا كهذا وبصورة فورية ودون تردد .. في حين ان من الممكن ان يصاب بلدها من جراء الرد بالقصف .. ولهذا فستكون كل حكومة مسؤولة ميالة للتردد في مثل هذا الموقف .

ونظرا للمخاطرة الرهيبة التي تترتب على تطبيق استراتيجية الحرب المحدودة والانتقام الشامل .. تعين البحث عن استراتيجية جديدة توفر قدرا اكبر من المرونة والأمان .. فتقدم الجنرال مكسويل تيلور بما اسماه « استراتيجية الاستجابة المرنة » التي أصبحت الأساس الذي تقوم عليه الاستراتيجية الأمريكية الحالية .

الفصل السادس

الأستراتيجية الامريكية الحاليه

انتقد الجنرال مكسويل تيلور رئيس هيئة الاركان الأمريكية السابق والمستشار العسكري فيما بعد للرئيس كنيدي ـ انتقد استراتيجية الانتقام الرادع في كتاب وضعه عن الاستراتيجية في اواخر الخمسينات سماه « الاستراتيجية غير المضمونة » .. وقد بين فيه عدم صلاحية تلك الاستراتيجية لظروف العصر والحاجات الاستراتيجية للولايات المتحدة .. وذكر فيه ان استراتيجية الانتقام الرادع نظرية جامدة خالية من المرونة .. لأنها ترى ان الرد المناسب لأي صدام مسلح هو شن حرب نووية شاملة .. وذهب في نقده الى انها تؤدي في النهاية اما الى الاستسلام او الى وقوع حرب نووية شاملة .. وأضاف : ان الموقف الدولي اصبح لا يتناسب مع هذه الاستراتيجية نظرا للتغيير الكبير الذي طرأ عليه .. مما يتطلب اتباع استراتيجية مرنة قادرة على الرد والتحول الى العمل الايجابي تحت كافة الظروف .. ومواجهة جميع احتمالات التهديد والنزاعات سواء أكانت حربا شاملة او محدودة او تهديدا بهما .. وقد سمى هذه الاستراتيجية « استراتيجية الرد المرن » وتعتمد هذه الاستراتيجية على قوات مجهزة بصواريخ عابرة للقارات .. مؤمنة ومحمية بشكل خاص ضد الضربات النووية للطرف المقابل .. ويكون بمقدور هذه القوة توجيه ضربة قاصمة للجانب الاخر حتى لو تعرضت لمبادأة العدو لها بهجوم نووي ، ويعزز قوة الصواريخ هذه قوات خفيفة الحركة مزودة بأسلحة حديثة تستطيع خوض حروب محدودة .. يضاف الى ذلك نظام متماسك من المحالفات العسكرية يوفر لها القوة والكفاءة برنامج التسلح الأمريكي والمساعدات .

تستند استراتيجية الرد المرن الى ضرورة « البقاء النووي » اي المحافظة على البقاء

بعد توجيه الطرف الاخر لضربته النووية .. ومن ثم القدرة على رد الضربة القوية الماحقة .. وهذا يتوقف على درجة الاستعداد القومي في جميع المجالات .. ويتطلب توفير وسائل لخوض حرب نووية شاملة والسيطرة عليها .. وتوفير جميع الوسائل والامكانات للوقاية من الاشعاع النووي ومن تساقط الغبار المشع .. وقد قال ادوارد تيلور الملقب بأبي القنبلة الهيدروجينية : « اذا ما انشأت الولايات المتحدة نظاما مناسبا من الملاجيء واتخذت الاجراءات الضرورية الاخرى نستطيع بعدئذ ان نعيش ونضمن البقاء .. بل ويصبح الاكثر احتمالا ان يتحقق النصر في الحرب النووية .. » وأضاف قائلا : « ان البقاء بعد العدوان النووي يتوقف على مدى توفير الدفاع النووي » .

تأييد الاستراتيجية الجديدة

أيد هربرت كاهن الاستراتيجية الجديدة لما تتسم به من المرونة والشمول واكد ان الصراع بين الكتلتين يتفاوت في الشدة .. ويتطلب مجالات أوسع من التصرف باستخدام وسائل الردع المتنوعة من حيث الكمية والكيفية .. وبذلك يمكن مقابلة جميع انواع التهديد ابتداء من الأستفزازات المحلية الى الحركات الثورية الشيوعية في جميع انحاء العالم وردع الهجوم الشامل .. وقد لاقت استراتيجية الرد المرن عناية فائقة واهتماما كبيرا من الدارسين والمنظرين .. وتأييدا من رجال الاستراتيجية والساسة الامريكيين .. وخرجت الدراسات بأسم اخر لها هو « استراتيجية الردع المتعدد الاشكال » .

واقترح هربرت كاهن ان تستمر الولايات المتحدة في تحسين وتطوير صناعة القنابل النووية بانواع مختلفة وزيادة المخزون منها .. وايجاد قوات تقليدية قادرة على مجابهة النزاعات والحروب المحلية دون اللجوء الى اسلحة التدمير الشامل ولزيادة فعالية الوسائل وضمان عامل السرعة في الرد يجب ان يتوفر نظام انذار فعال دقيق .. يعطي التحذير المناسب لتبدأ الصواريخ والطائرات في الإنطلاق الى اهدافها المعينة والمختارة فور التأكد من قرب وقوع عدوان مفاجيء .. مع الأحتفاظ بجزء كبير من الطائرات الاستراتيجية

محلقا في الجو وفي حالة تأهب كامل للأنقضاض على الاهداف المخصصة لها فور إنذارها بذلك .. ويوزع الجزء الباقي من هذه الطائرات على القواعد الجوية المنتشرة في جميع انحاء العالم لتكون اقل تعرضاً للضرب العادي .. كما يجب نظام لتوزيع الصواريخ على قواعد متحركة ومنتشرة مثل عربات السكك الحديدية والغواصات وبذلك يصعب تحديد مواقعها .. وان تكون مراكز القيادات في مأمن مضمون من ضربات العدو النووية بالتجائها تحت الأرض او في قاع المحيطات .. ويصر هربرت كاهن على ان تمتلك الولايات المتحدة القدرة على تدمير الطرف الاخر تدميرا تاما من الضربة الاولى .. لأن مثل هذه القدرة تقضي على مقاومة الطرف الآخر وقدرته على الرد .. وهذا بحد ذاته يشكل رادعا كافيا يحقق الهدف من الاستراتيجية الجديدة .. ويضيف الى كفاءة الردع ومقوماته توفر الدفاع المدني الفعال الذى يهيء للأمة المقدرة على المقاومة ومواصلة العمل والقيام بهجوم مضاد بعد تعرضها لضربة نووية .. ويقلل نسبة الخسائر والدمار ويساعد على بقاء قدرة الشعب وتصميمه على الانتقام .

اعتمد الرئيس جون كنيدي استراتيجية الرد المرن حيث بنى عليها الاستراتيجية الامريكية خلال فترة رئاسته وقد عرفت وقتئذ ب « استراتيجية القوى المضادة المقيدة » وهي استراتيجية تجعل استخدام السلاح النووي مرتبطا بطبيعة الهجوم النووي المقابل .. ووصف الرئيس كنيدي هذه الاستراتيجية بأنها تتميزها بالمرونة والحسم والقدرة على التصرف في جميع ظروف الصراع المسلح سواء أكان حربا شاملة ومحدودة بالسلاح النووي او بالسلاح التقليدي .. وأضاف انها تتطلب مضاعفة قدرة القوات المسلحة الامريكية حتى تصبح قادرة على الرد على أي عدوان .. كما تتطلب توفر القدرة على تحمل الصدمات الاولى .. والقيام بضربات انتقامية تلحق بالطرف المعتدي خسائر تزيدعها تلحقة الضربة الاولى بأمريكا .. وقد شرح الرئيس كنيدي تفاصيل هذه النظرية والبرنامج العسكري الذى يحققها في رسالتين بعث بهما الى الكونغرس في ٢٨ اذار عام ١٩٦١ و ٢٥ ايار عام ١٩٦١ كما اوردها في خطاب القاه في ٢٥ تموز ١٩٦١ وفيما يتعلق بردع العدو وارغامه على

الامتناع عن بدء الهجوم ، بين الرئيس كنيدي ان ذلك يعتمد على مقدار الاسلحة النووية والصواريخ الموجهة وقاذفات القنابل التي تمتلكها الولايات المتحدة .. وعلى مدى كفاءة هذه الأسلحة .. ودرجة استعدادها ودقة اجهزة السيطرة والتوجيه .. وما يتوفر لها من حماية تجعلها قادرة على تحمل الضربة الأولى المفاجئة .. ولم يستبعد استخدام الأسلحة النووية اذا نشب صراع بالاسلحة التقليدية واخفقت هذه الاسلحة في تحقيق اهدافها .. وعليه فقد بين ضرورة احتفاظ الولايات المتحدة وحلفائها بقدرات عسكرية تمكنها من خوض الحروب المحدودة بالاسلحة التقليدية .. وقال :« يجب احتمال تطور الحرب المحدودة الى حرب شاملة مع ضرورة محاولة ابقاء مثل هذه الحرب في نطاق محدود لضمان عدم تطورها الى حرب نووية شاملة » ..

وقد جرت تقديرات ودراسات في الولايات المتحدة الامريكية عن مدى الخسائر والاضرار التي قد تلحق بها اذا بدأ الاتحاد السوفيتي بتوجيه ضربة نووية مفاجئة ضد مراكز الصناعة الرئيسية والمناطق الآهلة بالسكان .. فكانت النتيجة لهذه الدراسات مرعبة .. وأشارت الى ان الخسائر والاضرار سوف تتعدى ما يمكن احتماله .. وعليه فأن الامر يتطلب سبقها بتوجيه الضرب النووي الى القوات السوفيتية المسلحة واسلحتها النووية قبل ان تتاح فرصة استخدامها ضد الاهداف الامريكية وهذا يقلل احتمال تدميرها .. وقامت استراتيجية القوة النووية المضادة على ثلاثة اعتبارات اساسية هي :ـ

أ . احتمال فشل استراتيجية الردع ـ وهذا يقتضي تحديد الأسلوب الذي يجب على الولايات المتحدة ان تتبعه في حالة اضطرارها لخوض حرب نووية .

ب . تفاوت مدى التدمير الذي ينجم عن استخدام الانواع المختلفة للسلاح النووي ـ وهذا يتطلب ضرورة العمل على تقليل اثاره على الولايات المتحدة وحلفائها .

جـ . خلق حوافز قوية تجعل الاتحاد السوفيتي . يحجم عن تدمير المدن .. وأن يكون واضحا له ان الولايات المتحدة ستوجه هجومها الى الأهداف العسكرية وحدها .. مع الاحتفاظ بقوات احتياطية رادعة .

متطلبات تطبيق الاستراتيجية الجديدة

تطلب تجهيز هذه الاستراتيجية واعدادها للتطبيق والتنفيذ ، القيام بالتدابير التالية :

أ . زيادة انتاج الأسلحة المختلفة والتركيز على الصواريخ حاملة الرؤوس النووية وصواريخ الفضاء لابقاء التفوق في جانب الولايات المتحدة .. مما ادى الى زيادة ميزانية التسلح من ٤٠ بليون دولار عام ٦١/٦٠ الى ٦ر٤٤ بليون دولار لعام ٦٢/٦١ وتوسع برنامج بناء الغواصات النووية التي تحمل صواريخ بولاريس .. وكذلك برنامج انتاج قاذفات القنابل الثقيلة والمتوسطة تحمل صواريخ بعيدة المدى تطلق من الجو الى الارض .. وانشاء قواعد متحركة لاطلاق الصواريخ العابرة للقارات والصواريخ ذات المدى المتوسط .. وانتاج قواعد اجهزة الرقابة والادارة الدقيقة لضمان اعطاء الانذار بالهجوم وتزويد المعلومات الدقيقة عنه .

ب . التركيز على انتاج الصواريخ التي تعمل بالوقود الجاف ومضاعفة هذا الانتاج .. وشمل ذلك صواريخ من انواع اطلس ، وتيتان ، ومنتمان .. وكذلك انتاج صواريخ مضادة للصواريخ ..

جـ . بقاء القوات المسلحة الامريكية في حالة تأهب واستعداد دائم لخوض حرب نووية شاملة او حرب محدودة .. ورفع مستوى كفاءة القيادة الاستراتيجية من حيث القدرة على السيطرة والادارة .. وتنظيم عمل القوات الاستراتيجية والتنسيق بينها .

د . اعادة تنظيم القوات المسلحة الأمريكية لتصبح اكثر قدرة على تنفيذ هذه الاستراتيجية .. وقد تمت اعادة التنظيم طبقا لبرنامج وضعته لجان متخصصة ونظمت القوات وقسمت الى عدة عناصر هي : ـ

(١) القوات الاستراتيجية الهجومية ـ وهي تتألف من تشكيلات الصواريخ عابرة

القارات .. والغواصات النووية حاملة الصواريخ .. وقاذفات القنابل الثقيلة والمتوسطة .. ومهمة هذه القوات خوض الحرب النووية العامة والشاملة .

(٢) قوات الواجب العام ـ وتتألف من تشكيلات برية وجوية تعبوية وقوات بحرية بينها غواصات نووية من حاملات الصواريخ .. ومهمتها معاونة القوات الاستراتيجية في الحرب العامة النووية .. او القيام بعمليات وتنفيذ مهام حربية مستقلة في حرب محدودة سواء بالاسلحة النووية او بالاسلحة التقليدية .

(٣) القوات الخاصة ـ وتختص بالحرب غير النظامية وحرب العصابات .

(٤) قوات الدفاع الجوي بانواعها المختلفة ـ ومهمتها حماية الولايات المحدة من أي هجوم يقوم به الاتحاد السوفيتي .

وقد جرى تخصيص قوات نقل استراتيجية مهمتها نقل القوات جوا او بحرا الى اي ـ منطقة ينشب فيها نزاع مسلح في أي مكان على الكرة الارضية .

الضربة النووية المفاجئة

قامت عدة لجان في الولايات المتحدة بأبحاث ودراسات مستفيضة حول الضربة النووية المفاجئة والفوائد التي يجنيها الجانب الذي يبادئ بها .. وكانت هذه اللجان تبحث في واجبات وعمل استراتيجية القوة المضادة .. ووصلت النتيجة الى ان المفاجأة والمبادأة عاملان يساعدان على تدمير الأسلحة الاستراتيجية للاتحاد السوفيتي .. وتؤديان الى فقدانه السيطرة وتدمير امكانياته الاقتصادية .. وتحطيم معنويات شعبه .. ومالوا الى الاعتقاد ان جميع تلك هي عوامل تؤدي الى شل المقاومة السوفيتية وتقرير نهاية الحرب بعد ايام قليلة من بدئها .. وكان لاختراع الصواريخ التي تحمل الرؤوس النووية اثر كبير على زيادة وبروز اهمية المفاجأة .. حيث ان الصواريخ العابرة للقارات قادرة على نقل الدمار عبر المحيطات والقارات في وقت قصير جدا ، تعجز معه شبكات الانذار عن اعطاء تحذير

في الوقت المناسب لتبدأ الاسلحة الدفاعية عملها .. ولم يتوفر للآن دفاع ايجابي فعال مئة بالمئة يستطيع صد هذه الصواريخ ومنعها من الوصول الى اهدافها المقررة ، وهذه العوامل ادت الى التفكير في الأهمية والفوائد العظيمة التي يتمتع بها البادىء بالضربة الاولى في الحرب النووية .

استمرت الدراسات وبيان التفاصيل في الولايات المتحدة الامريكية على استراتيجية الرد المرن طوال حقبة الستينات ... وكانت تظهر بين الفترة والاخرى اعادة صياغة التسمية أو التقويم .. ولكنها في جوهرها لم تشذ عن القواعد الأساسية التي وضعها الجنرال مكسويل تيلور .

اجمع اغلب المفكرين العسكريين علي اهمية الضربة الأولى او الضربة الثانية الوقائية في الحرب النووية التي تستخدم فيها الصواريخ العابرة للقارات .. وقالوا ان هذه الضربة يتوفر لها افضل فرص النجاح ... وانها الوسيلة الوحيدة لتجنب الهزيمة .. وقد أيد الجنرال تيلور هذا الرأي .. وكان أجماع المفكرين العسكريين ان الجانب الذي سيوجه الضربة أولا ، هو الذي سيملك فرصة البقاء بعدها ليقطف ثمار النصر .

وتعتمد استراتيجية وجود قوة مضادة قادرة على تدمير وسائل الهجوم النووي المعادية قبل أن تبدأ عملها .. ولذلك فهي تحتم سبق الجانب المعادي في توجية الضربة الأولى المفاجئة . ومع ذلك فأذا لم يتم الحصول على هذا المطلب وتحقيقة فهناك ميزة رئيسية لاستراتيجية الرد المرن ... وهي القدرة على الرد بتوجية الضربة الثانية . وقد تم تحديد وأختيار اهداف الضربة النووية الأولى حيث شملت القوات المسلحة السوفيتية ووسائل الهجوم النووي في الاتحاد السوفيتي .. اما اهداف الضربة الثانية فقد كشف عنها روبرت مكنمارا عندما قال : « ان الولايات المتحدة ستجد نفسها امام احد امرين .. فهي أما ان تقوم بضرب جميع الاهداف السوفيتية في وقت واحد .. أو ان تبدأ بضرب الاهداف العسكرية ثم تقوم بتدمير المدن والمراكز الصناعية بموجب تخطيط قائم على الاختيار والتمييز .

شروط قوات الضربة الثانية

تتطلب القدرة على توجيه الضربة الثانية ان تتوفر شروط خاصة في القوات المعدة لهذه الضربة .. وقد ابرز مكنمارا اهمية هذه القدرة وهذه الشروط التي خططت على اساسها الاستراتيجية الحالية على النحو التالي :

أ . ضرورة ان تكون هذه القوات متفوقة على قوات الجانب المقابل من حيث الكمية والكيفية .

ب . ان تكون قادرة على تجنب التدمير والابادة امام توجيه الضربة الاولى المعادية .ويتم تحقيق ذلك بعمل تدابير الالتجاء والحماية والانتشار وبذلك تكون قليلة التعرض وتضمن تقليل نسبة التدمير فيها .

جـ . ان يتوفر لها نظام دفاعي منيع لا يتأثر بالهجوم المفاجيء . وقد شمل التخطيط تشكيل وتأليف قوات الضربة الثانية ويدخل ضمنها الغواصات الذرية حاملة الصواريخ ... وميزتها سهولة الحركة والقدرة على الاختفاء ويصعب اكتشافها او تدميرها وتحتفظ بدرجة استعداد عالية للقتال بصورة دائمة ولمدة طويلة .. ويأتي بعد ذلك الصواريخ العابرة للقارات المهيأة لتعمل من قواعد تحت الارض .. ثم القاذفات الاستراتيجية المحلقة في الجو حاملة اسلحة نووية .. أو جاهزة للانطلاق من قواعدها فور صدور الأوامر لها بذلك .

وقد أكد الرئيس ليندون جونسون تصميم حكومته على الاحتفاظ بقوة ضاربة هائلة قال عنها وقتئذ روبرت مكنمارا وزير الدفاع « ان قوة الولايات المتحدة اليوم تشمل على اكثر من خمسمئة من الصواريخ بعيدة المدى من طراز اطلس وتيتان وبولاريس .. وفي تخطيطنا ان نزيدها الى ١٧٠٠ صاروخ عام ١٩٦٦ وليس هناك شك في اذهاننا او اذهان السوفيت ان هذه الصواريخ تستطيع ان تصل الى اهدافها في بلادهم .. وبالاضافة فأن القيادة الاستراتيجية الجوية تمتلك اكثر من خمسمئة قاذفة قنابل في حالة استعداد للانطلاق فورا بمجرد إعلامها » .

الهدف الرئيسي للاستراتيجية

حددت الاستراتيجية الحالية الامريكية الهدف الرئيسي في حالة الحرب النووية الشاملة وكذلك في حالة الحرب المحدودة على النحو التالي :

أ . في حالة الحرب النووية الشاملة

« الابادة الاكيده لجانب العدو والخسائر المحددة في جانبنا » ويتم تحقيق الابادة الأكيده بواسطة القوى القادرة والمستعدة لهذا الواجب حتى اذا كان الجانب الآخر هو البادىء بالعدوان .. اما تحديد الخسائر فيتم بأتخاذ التدابير الكافية لتقليل اثار الضرب النووي المعادي ووقاية السكان وتدابير حماية القوات كما مر انفا .. وتوجيه الضربات النووية ضد وسائل الهجوم النووي المعادي .. واتخاذ الاجراءات والتدابير الخاصة بالدفاع الجوي والدفاع ضد الصواريخ .

ب . في حالة الحرب المحدودة

اولا يتم استخدام الأسلحة التقليدية في مثل هذه الحرب .. وثانيا محاولة حصر الصراع المسلح . حتى تتوفر فرصة للوصول الى حلول سياسية مقبولة . وليس هناك ما يمنع من استخدام الاسلحة النووية التعبوية في بعض مراحل هذه الحرب اذا اتضح ان ذلك في صالحها ويؤدي بالتالي للوصول الى الحلول المقبولة .

وقد وصل الساسة الامريكيون الى قناعة ان الاخذ بهذه الاستراتيجية يؤدي الى زيادة قدرة الولايات المتحدة الامريكية على التصرف السريع الفعال في اي نوع من الحروب تتورط فيه .. وقال باتريك نائب وزير الدفاع الامريكي : « **ان تصميم نظامنا الدفاعي يوفر الحماية ويقلل تأثير هجوم العدو وعلينا .. كما يوفر لنا قدرة هائلة على الضربة الثانية تفوق بكثير قدرة الاتحاد السوفيتي على الضربة الاولى ... ولهذا فنحن واثقون بأن السوفيت لن يلجأوا الى حرب عالمية نووية** » .

وفي شهادة أدلى بها مكنمارا وزير الدفاع . امام لجنة الخدمات المسلحه التابعة لمجلس

الشيوخ ، عبر عن القدرة التي وصلت اليها القوات الاستراتيجية الامريكية للأنتقام والتدمير الكامل للطرف الاخر حتى بعد قيامه بهجوم مفاجيء ... ونوه عن استمرار النمو والزيادة في هذه القوات .

وخلاصة القول ان الاستراتيجية الحالية قد اصبحت من الشمول والمرونه لخوض كل نزاع مسلح تقضي مصالح الولايات المتحدة الاشتراك فيه .. حيث ضمنت تحقيق العناصر التالية :

أ . المرونة والقدرة على خوض الحرب النووية الشاملة أو الحرب النووية المحدودة سواء بالاسلحة النووية التعبوية أو بالاسلحة . التقليدية .

ب . ضمان تحديد واختيار الاهداف للقوة النووية المضادة وتكون الاسبقية الاولى للاهداف العسكرية .

جـ . توفير القدرة على توجيه الضربة الثانية اذا قام العدو بتوجية الضربة الاولى وقد خلقت (قوة الضربة الثانية) ثقة في الفكر العسكري الامريكي .. واوجدت جوا عسكريا اكثر استقرارا وقدرة على التعقل والتمييز عند التفكير في استخدام القوة .. وهذا بدوره قلل احتمال اللجوء الى بدء الضربة المفاجئة الاولى .. وبذلك قل احتمال وقوع حرب نووية عامه الى درجة كبيرة .

ومع هذه المعطيات عاد وزير الدفاع مكنمارا ليؤكد ان هذه الاستراتيجية لا تحقق هزيمة للشيوعيين .. ولا نصرا للولايات المتحدة الامريكية حيث قال : « ان هزيمة الشيوعيين لا يمكن احرازها في حرب نووية عامة ضد الكتلة الشيوعية .. ومن الخطورة بمكان ان يعتقد الشعب الامريكي بأن هزيمة الشيوعية ومخططاتها الدولية يمكن ان تتم عن طريق المخاطرة باشعال حرب نووية عامة » .

واضاف : « انا لا اعتقد اننا سنحرز النصر بكل ما تعنيه هذه الكلمة .. لانه سينجم عن الحرب تخريب شديد للولايات المتحدة .. وهذا ما لا استطيع ان اسميه بالنصر .. اما اذا لم نلتزم بما تعنيه الكلمه .. فأستطيع ان اقول اننا سننتصر لأن الدمار

الذي سيلحق بهم سيكون افدح نسبيا .. وهذا ما نسميه بالنصر » .

وقال الجنرال مكسويل تيلور موافقا على هذا الرأي : « ان الخسائر الجسيمة التي ستلحق بالجانبين سوف تنهي وجودهما كقوتين عالميتين وتنتهي بهما الى مصاف الدول ذات الأهمية الثانوية » .

حقبة السبعينات

يتضح مما تقدم ان السياسة الاستراتيجية للولايات المتحدة الامريكية قد دخلت سلسلة من التحولات خلال حقبة الخمسينات وبداية الستينات حتى استقرت ابتداء من ادارة الرئيس جون كنيدي على استراتيجية الرد المرن .. واستمرت الاضافات والتفسيرات تترى .. وشهدت نهاية حقبة الستينات مصطلح « القدرة على التدبير المؤكد » . وقال وزير الدفاع روبرت مكنمارا عام ١٩٦٨ مفسرا هذه القدرة انها تشمل امتصاص ضربة نووية أولى مفاجئة ومنسقة من العدو . وفي اول تقرير للسياسة الخارجية الذي قدمه الرئيس نيكسون عام ١٩٧٠ ورد فيه ما يلي « **في حالة وقوع هجوم نووي على الولايات المتحدة هل يترك الرئيس بخيار واحد هو اصدار الامر للتدمير الشامل للمدنيين في جانب العدو .. وهذا يحدث في وجه التأكد ان هذا الخيار تتبعه مذبحة شاملة للأمريكيين ؟ هل يطلب ان تحدد فكرة التدمير المؤكد بصورة اضيق ؟ وهل تكون الفكرة هي الآجراء الوحيد لمقدرة امريكا لردع التهديدات المختلفة التي قد تواجهها** » .

وجاء عام ١٩٧١ في ادارة الرئيس نيكسون الأولى فحدد وزير الدفاع ملفن ليرد فكرة التدمير المؤكد كما يلي :

أ . المحافظة على القدرة الكافية للقيام بضربة ثانية وذلك لردع الهجوم المفاجيء الشامل على قواتنا الاستراتيجية .

ب . عدم توفير حافز للاتحاد السوفيتي لضرب الولايات المتحدة الامريكية اولا في الازمات .

جـ . منع الاتحاد السوفيتي من كسب القدرة لايقاع تدمير على المراكز المدنية والصناعية اكبر من الذي تستطيع الولايات المتحدة ايقاعه في الاتحاد السوفيتي في حالة حرب نووية .

د . الدفاع ضد التدمير من الهجمات الصغيرة والقذف عرضيا .. وقد أوضحت هذه المباديء بصورة اوسع انها ردع لمنفعة الولايات المتحدة وتنطبق على حلفائها .

وقد ذكر الرئيس نيكسون منذ الايام الاولى لتسلم ادارتة السلطة انه يريد تغييرات في السياسة الاستراتيجية للولايات المتحدة .. ولكنه لم يرفض هو أو أي موظف كبير في ادارته ، بمن فهيم وزير الدفاع فكرة التدمير المؤكد .. وقد قاموا بتحديد هذا المصطلح وتضييقه ليعني الانتقام الشامل ضد المدن .. وقال الرئيس ان الحاجة تدعو الى خيارات اكثر واشار الى ما يسمى (معيار القدرة) . ثم جرى تحديد هذه المعايير وايضاحها من قبل وزير الدفاع ملفن ليرد كما هو بين سابقا . والبند الاول منها هو ببساطة البيان الاساسي لفكرة التدمير المؤكد .

اما الثاني فهو ليعلن بوضوح الهدف المرغوب فيه في السياسة الاستراتيجية لتجنب زج القوات الاستراتيجية او الأعمال التي تسبب عدم الاستقرار في الأزمات ، ويقوم المعيار الثالث على افتراضات التدمير المؤكد على المستويات المقصودة من التدمير وذلك فيما وراء القدرة لكل جانب لايقاع ٧٥ مليون اصابة مميتة .. وما بين ٥٠ ـ ٧٥ في المئة من تدمير القدرة الصناعية ـ وهي مستويات تنهي كل بلد منهما كمجتمع قابل للحياة .. اما المعيار الرابع فهو تبرير لحماية منظومة الصواريخ المضادة للصواريخ .

كانت الظاهرة البارزة في حقبة السبعينات هي ميل القوتين العظميين للحد من سباق التسلح وتخفيف حدة التوتر العالمي .. وجرت محادثات واتصالات على مستويات مختلفة فكانت معاهدة موسكو لعام ١٩٧٢ ثم معاهدة فلاد يفستوك الموقعه يوم ٢٤ تشرين الثاني ١٩٧٤ من قبل رئيس الولايات المتحدة جيرالد فورد ، والسكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي ليونيد بريجنيف .. حيث وضعت هذه المعاهدة الخطوط العريضة والارشاد

لمفاوضات اخرى لاحقة لتحديد الاسلحة الاستراتيجية .. وكان السبب في عقد هذه المعاهدة يعود الى عدة اعتبارات سياسية وعسكرية .. وقد وافق زعيما البلدين على مبدأ التساوي الكلي كأساس لاتفاق تحديد الاسلحة الاستراتيجية الثاني ، وكشف فيما بعد ان هذه المعاهدة تحل محل الاتفاق المؤقت على الاسلحة التعرضية الذي وقع يوم ٢٦ ايار ١٩٧٢ والذي حدد مستويات القوة القومية بـ ٢٫٤٠٠ قاذف استراتيجي . ولا يجهز بالرؤوس النووية من هذه القواذف سوى ١٣٢٠ .

ان التدمير المؤكد لا يحتاج الى قوات كبيرة .. وحتى اواسط السبعينات كانت القوة الاستراتيجية الامريكية تمتلك قوة نووية هائلة مؤلفة من حوالي «١٫٠٥٤ صاروخ » عابر للقارات منها ١٫٠٠٠ قذيفة نوع منتمان و٥٤ صاروخ تيتان . وكان العمل يجري لتحويل ٥٥٠ صاروخ منتمان الى نوع منتمان /٣ وهو اكثر تطورا ويستطيع حمل ثلاثة رؤوس نووية وعابر للقارات .. وان التقديرات لتأثير الرؤوس الحربية التي تنطلق من ٢٢٠ صاروخ منتمان/٣ العابر للقارات يمكنها قتل ٢١ بالمائة من سكان الاتحاد السوفيتي من التأثيرات الفورية وحدها .. وتدمير ٧٢ بالمئة من القدرة الصناعية الروسية .. وان الرؤوس الحربية التي تطلق من ١٧٠ صاروخ نوع (بوسيدون) وهي اقل من مجموع المحمول من قبل ١٢ غواصة تستطيع ايقاع تدمير مماثل .. اما عدد القاذفات الاستراتيجية المقدر لها ان تبقى سليمة بعد الضربة النووية فيختلف بدرجات متفاوتة .. ولكن معظم الخبراء يقدرون أن عددا كافيا من القاذفات نوع ٥٢ ـ ب بمقدورها الوصول الى اهدافها لتشبع بسهولة فكرة التدمير المؤكد التقليدية .

ولا يشمل تعداد القوات الاستراتيجية الامريكية القوات التعبوية النووية الواسعة . والتي يستطيع عدد كبير منها مهاجمة اهداف في الاتحاد السوفيتي . بالاضافة الى أكثر من ٧٫٠٠٠ سلاح نووي متواجد على الارض الاوروبية . والعديد من هذه الاسلحة منفتح في اسيا وفي سفّن امامية منفتحة في المحيط الاطلسي والمحيط الهادي .. وكان تعداد الرؤوس النووية الاستراتيجية التي تمتلكها امريكا عام ١٩٦٠ حوالي ٧٫٥٠٠ رأس ويجري العمل

ليصل عددها عام ۱۹۷۷ الى ۱۰٫۰۰۰ رأس .. وهناك حوالي ۲۰۰ مدينـة رئيسية في الاتحاد السوفيتي .. ومن المحتمل ان تكون الولايات المتحـدة الامريكية قد وجهـت بالتسديد عددا زائدا من الرؤوس الحربية على كل مدينة او انها خططـت للاهـداف الاخرى في جميع مواضعها .. وقد ذكر المستر شليسنجر وزير الدفاع قائلا « ان خططنا الحربية قد شملت دائما اهدافا عسكرية » .

ارقام الاسلحة الواردة اعلاه هي التي كانت قائمة حتى عام ۱۹۷۷ تقريبا .. واستمر العمل في زيادة الاسلحة والتطوير وتوزيع القوات الاستراتيجية في عهد ادارة الرئيس كارتر وربما اظهرت ادارة الرئيس ريغان تبدلا في الافكار وتحولات استراتيجية سيكشف عنها المستقبل القريب .

الفصل السابع

الاستراتيجية النووية السوفيتية

منذ بداية عام ١٩٤٤ كانت الجيوش الروسية تقوم بتعرض عام باتجاه الغرب . على امتداد المواجهة من بحر البلطيق في الشمال الى البحر الأسود في الجنوب ... وتدفع في زحفها القوات الالمانية الى الوراء .. ولم يعد باستطاعة القوات الالمانية سوى القيام بضربات مضادة تسجل نجاحات محدودة سرعان ما تعود بعدها الى خطوط الدفاع الرئيسية محاولة ابقاء الجبهة متوازنة ومتماسكة .. وقد حطمت الجبهة الروسية قسما كبيرا من الة الحرب الالمانية .

وكانت القوات البريطانية والأمريكية تتقدم بصعوبة إلى الشمال من روما في الاراضي الايطالية الضيقة .. حيث خاضت القوات الالمانية المدافعة هناك قتالا باسلا في الصمود والتعويق .. بينما التحضير يجري على قدم وساق في انكلترا للنزول على القارة الأوروبية من جهة الشمال .... واثناء عملية التحضير هذه كان ونستون تشرشل يلح على ضرورة غزو البلقان والتقدم شمالا على المانيا وذلك خشية ان يبتلع التقدم الروسي دول أوروبا الشرقية والقسم الأكبر من المانيا قبل وصول الحلفاء اليها .. وعندئذ لا يمكن تخليص دول اوروبا الشرقية من القبضة الروسية بعد الحرب .. وكانت هذه اهدافا سياسية رفضها الجنرال ايزنهاور القائد الاعلى لقوات الحلفاء واصر على تنفيذ الأعمال الممكنه عسكريا .. واخيرا حددت القيادة السياسية للحلفاء القصد للجنرال ايزنهاور وكان كالتالي :« عليك غزو القارة الاوروبية والقيام بالعمليات اللازمة حتىٰ يتم استسلام المانيا دون قيد أو شرط » . وأتفقت قيادة الحلفاء على ان يكون الغزو على شاطيء فرنسا الشمالي حيث بدأ يوم ٦ حزيران ١٩٤٤ .

استسلمت المانيا يوم ٨ أيار ١٩٤٥ وبذلك انتهت الحرب في اوروبا . وبقيت اليابان وحدها تواجه حلفاء الحرب العالمية الثانية حتى استسلمت يوم ١٤ اب ١٩٤٥ بعد القاء قنبلتين ذريتين على كل من مدينة هيروشيما ونجازاكي فوضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها . ولم تمض أشهر قليلة على نهاية الحرب حتى ساد الشك والريبة بين حلفاء الامس .. ـ الاتحاد السوفيتي والدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية ـ وبدأ كل منهما ينظر الى الاخر على انه عدو المستقبل ويضع استراتيجيته وعقيدته القتالية على احتمالات مجابهة هذا العدو في أي وقت .

في شهر شباط ١٩٤٦ اصدر الماريشال ستالين اوامر جاء فيها ،« ان كل تطور في العلم العسكري السوفيتي وكل تنظيم او اعداد للجيش السوفيتي .. يجب ان يتم على اساس المهارة والخبرة المكتسبة من الحرب الاخيرة » .. وكان ستالين قد وضع افكارا عسكرية عام ١٩٤٥ وسيطرت هذه الافكار على العقيدة السوفيتية .

وقد اغفل الحدث الهام وما سيحدثه من ثورة في علم الحرب والتغييرات الاستراتيجية .. ألا وهو السلاح النووي .. وجاءت المناقشات والتعاليم والنشرات العسكرية خالية من ذكر الاسلحة النووية . او القذائف الموجهة ... وفيما بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٩ اثناء الهيمنة الامريكية على السلاح النووي استعد الروس لمجابهة هذا الموقف بالكثرة العددية والاسلحة التقليدية .. وكانت قواتهم البرية تتفوق على قوات الدول الغربية من حيث تعداد الفرق والاستعداد لخوض الحرب .. بل واجتياح دول اوروبا الغربية .. حيث كان الرأي العام في الغرب ضد قيام حرب جديدة .. وكان اتساع الاراضي الروسية والتصميم على القتال وقبول التحدي لدى الروس ، عوامل ادت الى قبول مواجهة حرب ذرية وضرب بعض مدنهم على غرار هيروشيما ونجازاكي .

ولكن الافكار العسكرية بقيت جامدة ومتخلفة نتيجة عبادة الفرد والتقيد المطلق بما وضعه ستالين .. وحتى عام ١٩٥٣ لم تكن الاستراتيجية العسكرية السوفيتية الا نسخا وتكرارا لاستراتيجية عام ١٩٤٥ وقد زخرت الكتب والمقالات بتكرار ما يقوله ستالين .. بدل

الخوض في البحوث والدراسات العسكرية وتحديثها تمشيا مع التطور في صناعة الاسلحة الحديثة على كافة الأصعدة ومجالات التقدم التكنلوجي التي اخذت تظهر كل يوم .. وفي عام ١٩٥٥ فسر خروشوف جمود الافكار العسكرية وتخلفها في خطابه السري حيث قال « من الضروري ان نقول صراحة ان اي علم لم يتعثر في الاتحاد السوفيتي نتيجة عبادة الفرد .. كما تعثر العلم العسكري .. وقد حال هذا الوضع دون تطور النظريات والافكار والعقائد العسكرية وعطل الاجتهاد والتفكير في الموضوعات الحيوية » .

بداية التحول

أدى موت ستالين عام ١٩٥٣ الى ظهور الحزب كأقوى هيئة سياسية حلت محل الأوتوقراطية وعودة الاعمال العسكرية الى القادة العسكريين .. وانطلاق الفكر العسكري من قيوده .. والخروج من الجمود الذي ساد الفترة السابقة .. وصارت الافكار الجديدة تقول صراحة : « ان خبرة الحرب العظمى اصبحت لا تكفي .. وان العلم العسكري السوفيتي يجب ان يضع في اعتبارة الظواهر التي استخدمت بعد الحرب العالمية الثانية » .

اخذ العسكريون يدخلون دراسات جديدة تدريجيا .. وقد ركزوا اهتمامهم بشكل خاص على تطور وخواص التكنلوجيا العسكرية .. ودراسة التاريخ العسكري .. وظهرت في المجلات والنشرات العسكرية الآف المواضيع والأبحاث الخاصة بأثر الاسلحة الحديثة على الفن العسكري .. وذلك يهدف توجيه الفكر العسكري ودفعه لبحث المشاكل التي برزت بعد استخدام هذه الأسلحة .. وقد لخص ـ الجنرال بوكروفسكي عام ١٩٥٦ أثر الأسلحة الحديثة على تطور الحروب فقال :

« ان ظهور الأسلحة النووية .. والصواريخ بعيدة المدى .. والصواريخ الموجهة .. والطائرات السريعة .. وطائرات الهليوكبتر .. والأساطيل النووية .. ورادار الاستكشاف والتوجيه كل ذلك ادى الى توفير وسائل جديدة للحرب الحديثة .. فصارت تختلف اختلافاً فنياً عن الحرب العظمى السابقة وحرب كوريا .. التي اصبحت اهميتها تقتصر على الناحية التاريخية دون ان يكون لها أثر على تحديد اسلوب حرب اليوم او حرب المستقبل » .

وقد دفع الماريشال زوكوف القادة العسكريين الى الدراسة والبحث عندما قال :« ان العلم العسكري في الاتحاد السوفيتي لا يزال متخلفا عن متطلبات الحرب الحديثة .. عاجزا عن مقابلة ما هو مطلوب من الجيش .. يعمل في بطء على بحث بعض النظريات والمشاكل العسكرية .. وهذا يقتضي نشر الافكار الجريئة التقدمية العلمية .. وطرح الموضوعات

الحديثة للدراسة والبحث .. واستخلاص الحلول للتخلص من عقدة الخوف من الجديد التي وضعها ستالين » .

وهكذا عكف القادة والباحثون العسكريون على تطوير الفكر العسكري السوفيتي وخلق نظريات عسكرية جديدة .. تتناسب مع تطور الاسلحة الحديثة مع تطبيق الخبرة المكتسبة من الحروب السابقة على ضوء التطورات الحاصلة في التكنلوجيا العسكرية ، والاهتمام بدراسة الاستراتيجية والافكار العسكرية للدول الاخرى وخاصة ما يجري في الولايات المتحدة الامريكية .. وكانت هذه الدروس لاستخلاص المفيد الذي يمكن تطبيقه على الاتحاد السوفيتي وتقرير مدى الاستفادة منها ومقارنتها بوجهات النظر السوفيتية .

الاستراتيجية الحديثة

يتضح مما تقدم ان الاستراتيجية السوفيتية انطلقت الى التجديد والتطوير على القواعد التالية : ـ

أ ـ الخبرة والدروس المستفاد من التاريخ وتطوره .

ب ـ **النظريات العسكرية الحديثة التي ظهرت نتيجة للأسلحة الحديثة .**

جـ ـ الدراسة الوافية لوجهة النظر والاستراتيجية العسكرية للعالم الرأسمالي .

وهكذا قامت الاستراتيجية الحديثة انطلاقا من هذه القواعد واصبحت الأساس للتنظيم والتسلح والاعداد الذي جرى اتباعه لبناء القوات المسلحة .. وأدى ظهور الاسلحة النووية والحرارية النووية .. ووسائل الاطلاق .. والايصال الحديثة الى الاهداف المطلوبة .. الى تغيير جذري في اهداف الحرب وأسلوبها .. حيث كانت الاهداف الاستراتيجية في الحروب السابقة يتم تحقيقها عن طريق « **هزيمة القوات المسلحة للعدو واضعافها واحتلال المناطق الحيوية ذات الاهمية السياسية والاقتصادية** » وبذلك تحقق الاهداف السياسية التي قامت من أجلها الحرب ، التي كانت تتخذ اشكال الهجوم

والدفاع في صدام مباشر بين الطرفين .. وادى استخدام القوات الجوية الاستراتيجية في الحرب العالمية الثانية الى عمليات العمق البعيد خلف الجبهات والقوات العاملة فيها .. ولكن الاهداف الاستراتيجية للحرب بقيت كما هي دون تغيير ... ودون ان يكون للقصد الاستراتيجي في المناطق الخلفية اثر كبير يؤدي الى تغير الأهداف الاستراتيجية للحرب .. او تغيير اسلوب تحقيقها .. ولكن ظهور الأسلحة النووية أدخل تغيرات جذرية وهائلة على الاستراتيجية وفن الحروب .. مما ادى الى تطوير الاستراتيجية السوفيتية تبعا للتكنلوجيا العسكرية الحديثة وقد حددت الاستراتيجية السوفيتية في العصر النووي الهدف الأساسي وهو « دحر العدو بالقضاء على قواتة المسلحة .. وتدمير الأهداف الهامة في المناطق الخلفية وارباكها .. وحرمانه من قدراته العسكرية والسياسية والاقتصادية » .. على ان يتم تحقيق هذه الاهداف بنفس الوقت للوصول الى النصر بأسرع ما يمكن .. عن طريق تحطيم ارادة العدو بتدمير قواتة المسلحة .. وهو ما يجب ان تهدف اليه العمليات الحربية دائما .. ولم تغفل هذه الاستراتيجية اهمية العمليات لتدمير مراكز القدرات العسكرية ومراكز المواصلات واقتصاديات العدو .. وقد أصبح ذلك الجنرال كراسيلينيكوف عام ١٩٥٦ حيث قال .. « يجب ان يصحب الضربات القوية التي توجه للقوات المسلحة البرية والجوية والبحرية عمليات مركزة حاسمة ضد المناطق الخلفية في اقليم العدو .. توجه ضد اهدافه الاقتصادية لان اتباع مثل هذا الاسلوب يعجل بالنصر .. فعمليات القوات البرية المركزة الحاسمة التي تجري لدحر قوات العدو .. والعمليات الجوية التي تهدف لتحقيق السيادة في الجو .. يجب ان يقترن بها هجمات جوية ابستراتيجية على مراكز الصناعات الحربية والمواصلات البحرية .. وضربات اخرى موجهة لتحطيم القدرة الاقتصادية للعدو واضعاف مقاومته » .

ويتطلب ذلك ضرب جميع الاهداف الهامة في اقليم العدو الشاسع العميق ، والاهداف الموجودة في اقليم الدول لاخرى الموالية للعدو في قارات متعددة .. ويتم تطبيق ذلك باستراتيجية توفق بين استخدام الأسلحة النووية والأسلحة التقليدية تقوم بالأخيرة قوات

برية هائلة بالاسلوب التقليدي للحرب المباشرة بعمليات عميقة وبعيدة المدى .. بالاضافة الى عمليات عسكرية اخرى ذات اهمية ثانوية ضد قوات العدو الأرضية وحشوده .

وقد توصل المفكرون العسكريون السوفيت والقادة نتيجة الدراسة والتمحيص لظروف الحرب الحديثة الى استخلاص الحقائق التالية : ـ

أ . ان العلاقة بين المعركة المباشرة مع العدو في منطقة العمليات التي تستخدم فيها الأسلحة التعبوية والمعركة التي تجري خارج هذه المنطقة وتستخدم فيها الاسلحة الاستراتيجية قد تغيرت .. وأصبحت الثانية اكثر اهمية وتأثيرا .. وهذا بدوره يؤدي الى تغيير اسلوب القتال والأسلحة عما كان معروفا في الحروب السابقة ويجب مواكبة قفزات هذا التطور .

ب . ان استخدام الأسلحة النووية والمقذوفات في حرب قادمة سيكون له تأثير حاسم على مجريات الحرب .. وان هذه الاسلحة ستكون الوسيلة الرئيسية لشن حرب بعيدة في اعماق بلاد العدو ، عدا عما يجري من معارك مباشرة بين القوات في جبهات المواجهة .

جـ . ان المعارك في مسارح العمليات البرية ستتم بأسلوب اخر جديد .. لأن هزيمة القوات البرية للعدو .. وتدمير مقذوفاته وطائراته الاستراتيجية وأسلحتة النووية يتم بضربات نووية .. وهذا يقتضي تدمير مناطق متتالية .. وضربها وتلويثها بالاشعاع النووي .. مع القيام بعمليات سريعة لاحتلال المناطق والمراكز ذات الأهمية الخاصة بواسطة قوات ارضية سريعة ذات قدورة ممتازة على الحركة والضرب بقوة .

ولم تحدد الاستراتيجية النووية السوفيتية من بين اهدافها ضرب السكان المدنيين بصورة قاطعة .. ولكنها نوهت بالقول ان الأعمال العسكرية ضد الشعوب لا يمكن أن تكون اساسا لاستراتيجية عسكرية سليمة تقود الى النصر .. واضافت ان ذلك لا يتعارض

مع توجيه ضربات قوية ضد السكان للرد عى ضرب العدو للسكان المدنيين في الاتحاد السوفيتي .

ترى العقيدة السوفيتية ان « طبيعة الحرب » هي أهم العوامل الرئيسية التي تؤثر على الاستراتيجية مما يقتضي تحديد نوع الحرب المقبلة .. وتحدد الاستراتيجية السوفيتية في العصر النووي انواع الحروب المقبلة على ضوء ما قاله لينين « ان الأحداث التاريخية الكبرى يمكن فهمها فهما صحيحا اذا نظرنا اليهـا على ضوء الصراع بـين المبـاديء الاشتراكية والرأسمالية ، ومدى نمو القوى المتصارعة » لذلك يجب دراسة خواص الحرب على أساس التحليل العلمي للتطور التاريخي والسياسي والاجتماعي الذي وضعتة التعاليم الماركسية ـ اللنينية .. لأن ذلك يؤدي الى فهم المضمون السياسي والاجتماعي للحـرب واسباب قيامها وادارتها ، ويمكن القادة العسكريين والسياسين من بناء القوات المسلحة على اسس سليمة .. واعداد الدولة لخدمة الحروب التي قد تجابه بها .

ومن اجل تحقيق قاعدة استراتيجية أساسية هي « تحطيم القوات المسلحة للعدو » فان الاتحاد السوفيتي عمل على تشكيل وتنظيم قواته المسلحة على أساس الاحتفاظ بقوات برية كبيرة وقوية ، تساندها قوات جوية للقضاء على قوات العدو في المعـارك البـرية المباشرة .. ثم الاحتفاظ بقوات استراتيجية من الصواريخ المتنوعة والطائـرات لغـايات ضرب الاهداف المعادية على المستوى الاستراتيجي عن طريق اختيار أنسبها لحرمان العدو من القدرة على الرد .... وتدمير قوات العدو المسلحه الرابضة في اقليمه بعيدة عن متناول القوات الأرضيه السوفيتية ، لذلك تطلبت الاستراتيجية عدم الاعتماد على نوع واحد من التسليح .. وجرى تطوير التسليح السوفيتي ليشمل مضمون القضاء على قوات العدو المسلحة بتدمير قاذفاتة وصواريخه البعيدة والمتمركزة في قارات اخرى .. وتدمير قواته البرية المتواجدة في مسارح العمليات القريبة .. وقد مر التسلح السوفيتي بعد الحرب العـالمية الثانية بالمراحل التالية : ـ

أ . مرحلة الاعتماد على الأسلحة التقليدية والكثرة العـددية من عام ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩ .

ب . مرحلة القنبلة الذرية عام ١٩٤٩ الى الأسلحة النووية الحرارية عام ١٩٥٣ عندما تمكن الاتحاد السوفيتي من تفجير القنبله الهيدروجينية .

جـ . مرحلة الصواريخ العابرة للقارات ابتداء من عام ١٩٥٧ ، واستمر العمل بمبدأ الاحتفاظ بقوات تقليدية متفوقة معمولا به في جميع مراحل التسلح الآنفة الذكر .. وقد أجمع كبار القادة العسكريين السوفيت على الرأي القائل بعدم الاعتماد على نوع واحد من التسلح اذ قال المارشال موسكلنكو : « ان الاستراتيجية السوفيتية ترفض بحزم الرأي الذي ابتدعه الرجال العسكريون في الدول البرجوازية الذي يقول ان النصر الاستراتيجي يمكن تحقيقة باستخدام نوع جديد من التسلح . لأنه حتى الآن ، لا يوجد سلاح يمتلك جميع الامكانات . ولقد علمنا التاريخ ان ظهور سلاح جديد أو حدوث تطور في التكنلوجيا العسكرية ، قد يؤدي الى زيادة قدرة السلاح وقوته التدميرية ، مما يزيد قدرة الجندي في الميدان ويضاعف أهمية » . وذكر المارشال زوكوف « انه لا يمكن كسب الحرب بالقنابل الذرية فقط ، كما انّ القوات الجوية والأسلحة النووية لا تقرر وحدها نتيجة أي نزاع مسلح » .

لذلك صارت الرؤية الاستراتيجية السوفيتية أن الأسلحة النووية هي وسيله مكملة لقواة نيران الاسلحة التقليدية التي ستبقى المصدر الرئيسي للنيران في القوات المسلحة ، كما ترى ان تأثير الاسلحة النووية الاستراتيجية سيكون ضئيلا في الميدان وان تأثيره الخطير سيكون على المدن والسكان المدنيين ، وان النصر في حرب نووية يحتاج لقوات مسلحة تقليدية أكبر وقوى بشرية أضخم . وهذا يضمن تعويض الخسائر التى تحدث في الصناعة والاقتصاد والمرافق الحيوية نتيجة الضرب النووي .. وتعويض التشكيلات الكبيرة التي سوف تمحيها الضربات النووية .. وتوفير القوات اللازمة لحرب شاملة تمتد عبر القارات . وتحقيقا لهذا المبدأ تعتمد الاستراتيجية السوفيتية على تنظيم متوازن من القوات المسلحة يعمل كفريق واحد .. ويستطيع بهذا التنظيم اجراء عمليات حربية منسقة سواء ما يجري منها في ميدان القتال .. أو بواسطة الطيران الاستراتيجي أو بواسطة

الصواريخ المتوسطة والبعيدة المدى في البر والبحر والجو .. وأصبحت المعركة مشتركة بين جميع أنواع الاسلحة وقد أوضح ذلك الجنرال بوكروفسكي خبير الاسلحة النووية والصواريخ في الجيش السوفيتي بقوله « ان النظرية السوفيتية العسكرية التي تقضي بأستخدام جميع انواع الأسلحة والمعدات في معركة مشتركة ، هي الفكرة الصحيحة الوحيدة ، وهذا يقتضي ان تكون الأسلحة الاستراتيجية عنصرا في التكوين العام للجيش والبحرية ، تكمل هذه القوات ولا تحل محلها ، لأن نجاح المعركة في الحرب الحديثة ، يتطلب عمليات منظمة تنظيما جيدا ، يشترك فيها جميع الأسلحة وكل فروع القوات المسلحة ، الجيوش البرية والقوات الجوية ، والقوات البحرية .

تأثير المفاجأة

لا ترى الاستراتيجية السوفيتية في المفاجأة عاملا يؤدي الى النصر في حرب اذا كانت تجاه عدو قوي يملك قدرات ضخمة ..وهذا لا يعني نسيان الأهمية الخاصة للمفاجأة في سبيل تحقيق النصر .. ولكنها بأعتقادهم لا تكفي لكسب حرب ضد عدو قوي مستعد .. ولا يمكن بدء الحرب لمجرد تحقيق المفاجأة اذا توفرت شروط التحقيق ..

ولكن اذا كان هناك ما يدعو لقيام الحرب .. فلا شك ان ضمان تحقيق المفاجأة يكون احد العوامل الهامة بالتأثير على سير العمليات .. وقد استند السوفيت في نظرتهم لتأثير المفاجأة واعتباراتها على اساس حسابي لاحتمالين متقابلين : الأول : اذا بدأوا ضربة نووية مفاجئة ضد الاهداف العسكرية ، فلا بد ان تبقى بعد هذه الضربه اسلحة كافية للانتقام بضرب المواقع والمدن السوفيتية . والثاني : اذا بدأت الدول الغربية ضربة نووية مفاجئة فسوف يكون الاتحاد السوفيتي قادرا على الرد والانتقام وستكون الخسائر في كلتا الحالتين جسيمة ومتبادلة .. ونظرا لتوزيع وانتشار مصادر القوة في الأقاليم الشاسعة للدولتين العظميين فان الدمار المتبادل يكون عاما .. وتعطي الاستراتيجية السوفيتية اهتماما خاصا

لأهمية الهجوم النووي المفاجيء باتخاذ التدابير لمقابلته اذا بدأ به المعسكر الغربي .. وتعمل ما وسعها الأمر لتحقيق المفاجأة من جانبها في أية حرب قادمة .. مع ان المفاجأة من وجهة نظر السوفيت لا تعتبر أساسا لكسب الحرب حتى باستخدام القنابل الهيدروجينية والصواريخ عابرة القارات .

مدة الحرب

تقدر الاستراتيجية السوفيتية ان الحرب العامة سوف تكون طويلة سواء أكانت نووية او تقليدية .. لأن النصر في الحرب الحديثة لا يمكن تحقيقه الا بعد معارك وعمليات وحملات عنيفة في عدة مسارح .. لكون النزاع المسلح يتطلب دحر القوات المسلحة للعدو .. وليس من السهولة تحقيق ذلك باشتباكات قليله معدودة .. وانما بعد ضربات قويه متعددة .. لكل منها اهدافها وزمانها ومكانها .. وتخصيص القوات والاسلحة اللازمة لتحقيق ذلك .. وتعتبر العوامل الاقتصادية والسياسية والمعنوية عوامل اساسية وحاسمة تؤثر على نتيجة الحرب الطويلة .. وعليه فقد جرى تكوين الجيش السوفيتي الحديث على درجة كبيرة من حيث تعداده ، مع تجهيزه واستعداده لخوض الحرب النووية مع الحرب بالاسلحة التقليدية للحصول على قوة نيران هائلة من جميع الأسلحة مجتمعة .

ويعتبر تفوق القوات المسلحة التقليدية في الاتحاد السوفيتي .. والمصلحة المتبادلة بين القوتين العظميين في عدم استخدام الاسلحة النووية .. كلها عوامل توفر ظروفا أنسب لاستخدام القوات التقليدية .. هذا بالاضافة أن العقيدة العسكرية السوفيتية ترى أن الاسلحة النووية وحدها لا تقرر نتيجة الحرب من نصر أو هزيمة ، لذلك تفضل الاستراتيجية السوفيتية ان لا تكون البادئة بأستخدام الأسلحة النووية « لأن بسط نفوذها وسيطرتها يجب ان يتحقق دون المخاطرة بالنظام الشيوعي كله » وتدعيا لاستراتيجية لا ترجح استخدام الاسلحة النووية فان الاتحاد السوفيتي يقوم بالتدابير التالية : -

أ . الدعوة الى تحريم استخدام الاسلحه النووية في الحرب وفي هذا كسب دعائي كبير .

ب . زيادة قوته النووية الرادعة لضمان ردع الطرف الآخر ومنعه من استخدامها .

جـ . حرمان الولايات المتحدة الأمريكية من حلفائها وقواعدها في أوروبا بأستغلال الرعب الماثل في أذهان الشعوب من استخدام الاسلحة النووية وبث الشك في نية الولايات المتحدة لاستخدام الأسلحة النووية دفاعا عن حلفائها في أوروبا .. اذا كان ذلك يعرضها للانتقام النووي السوفيتي ، لكي تجردها من القواعد الارضية التي توجه منها مقذوفاتها النووية الى الاراضي السوفيتية .

ولا تفرق الاستراتيجية السوفيتية بين استخدام الأسلحة النووية الاستراتيجية والتعبوية لانها جميعا اسلحة تدمير شامل .. وترى ان الجدل حول استخدام اسلحة نووية تعبوية ليس إلا وسيلة يدعو اليها محبذو استخدام الاسلحة النووية .. كخطوة اولى يتبعها استخدام الأسلحة النووية الاستراتيجية على نطاق واسع .. كما ترى ان استخدام الاسلحة النووية التعبوية لضرب الاهداف العسكرية سيؤدي إلى قتل كثير من المدنيين وتدمير المدن والقرى وتلوثها بالاشعاع النووي .. وان ليس هناك فرق بين الاستخدام التعبوي والاستراتيجي .. لأن الاسلحة النووية سواء أكانت تعبوية او استراتيجية هي اسلحة تدمير شامل تسبب قتل الملايين ولذا تعارض الاستراتيجية السوفيتية المبدأ الذي يقول بأمكان قيام حرب نووية محدودة يلتزم بها الطرفان بأستخدام الاسلحة النووية التعبوية فقط .

وقد قسمت الاستراتيجية السوفيتية الحروب الى (محلية وعالمية) وأعدت الخطط لخوض اي نوع من هذه الحروب مستندة الى تفوقها في الاسلحة التقليدية ، وترى ان تحديد الوسائل التي تستخدم في الحرب لا يتوقف على نيتهم وما يمتلكونه من اسلحة ومعدات بل يتوقف ايضا على ما يتبعه العدو من اساليب .. وعوامل اخرى يصعب التنبؤ بها .. لذلك فهي تخطط وتجهز لتحقيق المبدأ الذي نادى به لينين « ان عدم اعداد الجيش لاستخدام اي نوع من الاسلحة او المعدات التي يمتلكها ، او ينتظر ان يمتلكها عدوه ، يكون سفهاً وجنوناً » وفي عام ١٩٥٥ نادى الجنرال بخوفسكي بالرأي التالي : « اذا غامر

العدو باستخدام الاسلحة النووية ، فسوف نحطمه بنفس السلاح » .

لقد اكد جارتوف الخبير الامريكي في الاستراتيجية السوفيتية رأيه بصورة قاطعة حول مسارح العمليات في حرب تقليدية يخوضها السوفييت على النحو التالي : « انه في حرب تقليدية سوف تكون العمليات العسكرية عبر القارات ظاهرة بارزة في الاستراتيجية السوفيتية .. وفي مثل هذه العمليات يبدو واضحا ان الاتحاد السوفيتي لن يحاول غزو امريكا الشمالية او افريقيا ولكن سوف يحاول احتلال اوروبا الغربية ومنطقة البحر الابيض المتوسط وجزء من آسيا » .

ولكن رأي جارتوف الآنف الذكر لا يتفق مع المباديء الماركسية اللنينية التي ترى في أقوى دولة رأسمالية عدوا تقليديا يجب القضاء عليه .. وعلى هدى تلك المبادىء وضعت الاستراتيجية السوفيتية لذلك يمكن القول ان اية عمليات في مسارح اخرى هي مراحل أولية لتحقيق الهدف النهائي الأكبر وهو القضاء على القوة الرأسمالية الكبرى .. وقد أجمع كبار الساسة والقادة العسكريين في الاتحاد السوفيتي على أن « تحقيق الأهداف السياسية والعسكرية في أية حرب مستقبلية يجابه بها المعسكر الاشتراكي ، لا يتم بتدمير اسلحه العدو النووية ، ودحر قواته الرئيسية بواسطة الصواريخ النووية ، وتدمير المناطق الحيوية في اقليميه اذ ان تحقيق النصر في هذه الحرب ، يحتم دحر قوات العدو المسلحة ، وتجريده من وسائله واسلحته ومعداته الاستراتيجية ، وحرمانه من قواعده العسكرية واحتلال مناطقه الحيوية الاستراتيجية وبالاضافة الى ذلك ، ينبغي منع قواته الجوية والبحرية من غزو الدول الاشتراكية وتأمينها »

الخلاصه

نستخلص مما تقدم الى ان الفكر العسكري السوفيتي قد حدد مبدأين اساسيين :

الاول : ـ ان الاتحاد السوفيتي لن يكون الباديء باستخدام الاسلحة النووية .

والثاني : ـ انه حتى في حرب عامة تشنها الولايات المتحدة الامريكية فلن يلجأ الاتحاد

السوفيتي لاستخدام الاسلحة النووية الا اذا كانت أمريكا هي البادئه بذلك ، واذا ما بدأت الحرب تقليدية بقيت كذلك .

وقد طورت الاستراتيجية السوفيتية التقليدية أساليبها ، كما طورت الاسلحة والمعدات لمقابلة ظروف الحرب التقليدية الحديثة ، أما على صعيد الحرب النووية ، فيبدو أن أهم العقائد العسكرية التي اعتنتها الفكر العسكري السوفيتي وبنى عليها استراتيجيته النووية هي الموضحة في كتاب « الاستراتيجية العسكرية والعقائد السوفيتية » من قبل خمسة عشر من كبار المفكرين السوفيت وتتلخص فيما يلي : « ان أي حرب عالمية قادمة ، سوف تكون قطعا حربا نووية ، تكون فيها الاسلحة النووية والصواريخ أهم وسائل القتل والدمار ، وان حربا نووية يشنها المعسكر الغربي سوف تنتقل حتما الى الاراضي الأمريكية بواسطة الصواريخ عابرة القارات والصواريخ التي تقذف من الغواصات ، وجميع الوسائل الاستراتيجية ، وسوف تكون جميع الدول الأخرى التي تسمح بوضع قواعد امريكية أو قواعد حلف الأطلسي في اقليمها ، أو التي تسمح بأستخدام اقليمها كقاعدة للعدوان ـ سوف تكون معرضه للهجوم السوفيتي النووي .. وانه في حرب نووية سوف لا يتحقق النصر الا بأستخدام الوحدات النووية الاستراتيجية متعاونه مع القوات الأخرى المسلحة بألاسلحة النووية التعبوية » .

الفصل الثامن

استراتيجيات قوى أخرى

١ . الاستراتيجية النووية البريطانية

كانت الأبحاث الذرية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية تجري في سرية تامة في الولايات المتحدة الامريكية بتعاون وثيق بين العلماء الأمريكيين والبريطانيين حتى تم التوصل الى صنع القنبلة عام ١٩٤٥ .

وفي ١٩ آب ١٩٤٣ وقع ونستون تشرتشل رئيس الوزارة البريطانية وفرانكلين روزفلت رئيس الولايات المتحدة اتفاق قلعة كويبك الذي تم بموجبه ربط الاستراتيجية النووية البريطانية بالاستراتيجية الامريكية .. وكانت بريطانيا هي الدولة الثانية التي دخلت النادي الذري عندما قامت بتنفيذ برنامج مستقل لبناء قوتها النووية بعد القرار الأمريكي الذي اتخذ عام ١٩٤٦ بانفراد أمريكا بانتاج الأسلحة الذرية .

بدأت الاستراتيجية البريطانية تتأثر بالاسلحة النووية اعتبارا من عام ١٩٤٧ وبعدها ساد الاعتقاد ان هذه الاسلحة هي الوسيلة الوحيدة التي توفر دفاعا حقيقيا يمكن ان تتحملة بريطانيا .. نتيجة الاعباء العسكرية الضخمة التي كان عليها مجابهتها في أوروبا ودول الكومنولث والمستعمرات .. لذلك فضلت الاعتماد على التسلح النووي .

وبعد تفجير الاتحاد السوفيتي لقنبلته الذرية الاولى عام ١٩٤٩ وتفجير الولايات المتحدة لقنبلتها الهيدروجينية عام ١٩٥٤ دعا الفكر الاستراتيجي البريطاني الى مقاومة المد الشيوعي اينما ظهر .. والاستعداد لخوض حرب عالمية نووية مما يقتضي اعتماد بريطانيا على قوة نووية خاصة بها .. ودعمت هذا الرأي الولايات المتحدة الامريكية نظرا للتحالف

القائم بينهما حيث كلفت بريطانيا بضرب الأهداف العسكرية التي تؤثر على أمنها في المعسكر الشرقي .. ثم ضرب الاهداف التي تؤثر على الولايات المتحدة الامريكية .

اخذت الحكومة البريطانية تصدر كتابا ابيضا كل عام تبين فيه سياستها النووية .. ففي عام ١٩٥٦ وضع على عاتق القوات البريطانية ان تكمل الأثر الرادع للقوة المتحالفة باعتبارها احدى الدول الكبرى .. وفي عام ١٩٥٧ صار واجبا على بريطانيا امتلاك قوة نووية رادعة خاصة بها .. واستمر التطور على ضوء الحاجات الاستراتيجية لبريطانيا خاصة وللتحالف الغربي عامة .. وخلال عامي ١٩٦٠ و ١٩٦١ صارت القاذفات البريطانية تشكل دعما قويا للقوة الرادعة للمعسكر الغربي نظرا لأنها اكثر قدرة على ضرب اهدافها في الاتحاد السوفيتي واسرع وسيلة يمتلكها المعسكر الغربي في ذلك الوقت .

تأرجحت الاستراتيجية النووية البريطانية خلال عقد الخمسينات بين عقيدة مستقلة بذاتها وبين اخرى يعتنقها حلفاؤها الأمريكيون .. وقد تأثرت بعدة عوامل منها حماية دول الكومنولث التي لا يمتد اليها الدرع النووي الأمريكي .. وتقوية مركزها العسكري والسياسي في العالم نتيجة تغيير ميزان القوى بعد الحرب العالمية الثانية مما أصاب الهيبة البريطانية .. يضاف الى ذلك رغبة بريطانيا امتلاك القدرة النووية الخاصة بها عن الجزر البريطانية واستخدامها في أوروبا اذا امتنعت امريكا لسبب أو لآخر عن استخدام اسلحتها للدفاع عن هذه المناطق .

واخيرا استقرت الاستراتيجية البريطانية بشكل متناسق مع الاستراتيجية الامريكية واستراتيجية حلف الأطلسي .. لأرتباط بريطانيا بهذا الحلف وهي احدى الدعامات الكبرى فيه .. وقد شملت الاستراتيجية البريطانية فكرة قيام حرب نووية شاملة او حرب محدودة .. واذا قامت حرب بالاسلحة التقليدية فستكون مقدمة لحرب نووية شاملة .. ومعظم هذه الافكار تشابه ما تضمنته الاستراتيجية الامريكية . وتشكل بريطانيا الآن قاعدة قوية وامامية لحلف الاطلسي بقدراتها النووية الى جانب القدرة النووية الامريكية المهيأة فيها .

الاستراتيجية النووية الفرنسية

٢. كانت فرنسا رابع دولة تدخل النادي الذري بعد الاتحاد السوفيتي ومع انها بدأت في تنفيذ برنامجا نوويا للأغراض السلمية منذ عام ١٩٤٨ الا ان تفجيرها النووي الأول جرى عام ١٩٦٠ وتمت المصادقة على مشروع خمس سنوات لأنشاء قوة فرنسية ضاربة . وخلال حقبة الخمسينات كانت فرنسا تعتمد على القوة النووية الامريكية شأنها في ذلك شأن دول أوروبا الغربية التابعة لحلف الأطلسي .

وبعد اختراع الصواريخ العابرة للقارات نادى اغلب العسكريين الفرنسيين .. انه لا يمكن الاعتماد على الاسلحة النووية الامريكية .. بعد ان اصبحت الأرض الامريكية عرضة للضرب النووي السوفيتي .. وكذلك الحال بالنسبة للاعتماد على الاسلحة النووية البريطانية .. وان أضمن وسيلة للدفاع عن فرنسا هي امتلاكها لقوة نووية حتى لو كانت صغيرة .. اذ انها عندئذ تهدد روسيا بالضرب النووي اذا فكرت في غزو غرب أوروبا .. كما يقوي مركز فرنسا في العلاقات الدولية .. وتجعل لها رأيا مسموعا في واشنطن .. وذلك يتوقف على امتلاك جيش حديث مدعوما بالتسليح النووي .

وقد اعلن الجنرال ديغول الاستراتيجية الفرنسية واضحة في خطاب ألقاه في مركز الدراسات العسكرية العليا في فرنسا يوم ٣ تشرين الثاني عام ١٩٥٩ واعلن فيه : « ان فكرة الدفاع عن فرنسا يجب ان تعتمد على دفاع فرنسي ، لذا يجب ان يكون لنا قوات قادرة على العمل طبقا لارادتنا ، قوات ضاربة يمكن دفعها في أي وقت إلى أي مكان ، دون ان يشكل تدعيمها بالاسلحة النووية مشكلة لنا ، وطالما اصبح من الممكن ان يوجه الينا الدمار من أي مكان يجب ان قواتنا قادرة على العمل في أي مكان على سطح الأرض » . وتطبيقا لهذه السياسة رفض الجنرال ديغول الاعتماد على الاسلحة النووية الامريكية .. او على قوة نووية تابعة لحلف الأطلسي تحت السيطرة الامريكية .. كرادع للاتحاد السوفيتي .. وبين رأيه حول ذلك قائلا : « ان القوة النووية الفرنسية بمجرد انشائها .. سوف تكون قادرة على الردع والتدمير مما سوف يكون له اثر على من يفكر في

العدوان » .

وقد رفض ديغول السماح للولايات المتحدة الامريكية بتكديس الاسلحة النـووية التعبوية على الأرض الفرنسية .. طبقا لاتفاق ثنائي تعقده مع فرنسا على غرار الاتفاق الذي عقد مع المانيا الغربية وتركيا وهولندا وكندا . وكان رأي فرنسا ان التعاون بين دول تمتلك الاسلحة النووية يوفر عناصر قوية لمجهود متكامل .. وانه افضل من المشاركة في هذه الاسلحة .

وبالاضافة الى القوة النووية الخاصة .. ترى الاستراتيجية الفـرنسية الاعتماد على التحالف الغربي والمحافظة على ثباته .. وان وجود قوات نووية اوروبية ستدعم وتكمل القوة النووية الامريكية المتواجدة في غرب اوروبا .. وتمنع القادة السوفييت من التفكير في شن هجوم مفاجيء على غرب اوروبا دون الولايات المتحدة الامريكية .. وهذا يخلق توازنا في القوة بين غرب اوروبا وشرقها .. وترى الاستراتيجية الفرنسية المفهوم التـالي حول التطبيق :

أ . ان الاقتصار على الاسلحة التقليدية في اية حرب تقوم في غرب اوروبا امر غير محتمل .

ب . وان الاقتصار على استخدام الاسلحة النووية التعبوية لا يمكن تطبيقه في اوروبا دون ان يؤدي الى حرب نووية شاملة .

ج . اذا وقعت مثل هذه الحرب فسوف تستخدم فيها الاسلحة النووية بما فيها الاسلحة الاستراتيجية على نطاق واسع .

د . ان استخدام الاسلحة النووية في الدفاع عن اوروبا يحقق تأمين سلامة الحدود بقوات قليلة نسبيا مما يوفر قوات احتياطية اكبر في العمق لمقابلـة المواقف الطارئة .

هـ. تكون أهداف الضرب النووي الى القوات النووية المعادية والمدن والاهداف ذات الاهمية الكبرى .

مما تقدم نرى ان وجهة النظر الفرنسية قد تعارضت مع وجهة النظر الامريكية كما تعارضت قبلها وجهة النظر البريطانية لايجاد قوة نووية اوروبية لمجابهة أي هجوم سوفيتي .. واستمرت الحكومة الامريكية في محاولات بث الثقة لما توفره قوتها النووية من ضمان وحماية للدول الأوروبية .. وتفضل الولايات المتحدة الامريكية الاحتفاظ بزعامتها وسيطرتها على الأسلحة النووية في التحالف الغربي تحت شعار « القوة المتعددة الأطراف » و« القوة النووية المتكاملة » حتى لا تدفع الى حرب نووية ضد ارادتها ولكن ذلك لم يكن يحالفه النجاح .

٣ . الاستراتيجية النووية الصينية

كانت الصين الشعبية خامس دولة تدخل النادي الذري بعد فرنسا .. وكانت الفكرة السائدة في الصين بعد قنبلة هيروشيا ان الاسلحة الذرية ليست الا اسلحة للتخويف والهيبة .. لا يمكن ان يكون لها تأثير ضد جيوش التحرير .. لذلك لم تضع الصين عقيدة عسكرية فيا يتعلق بالاسلحة النووية الى ان اعلن جون فوستر دالاس وزير خارجية امريكا التهديد بالانتقام النووي في الثامن من اذار عام ١٩٥٥ وطوال النصف الثاني من عقد الخمسينات ظهر التهديد الامريكي واضحا لوقف المد الشيوعي في العالم عن طريق استخدام الاسلحة النووية اذا اقتضى الأمر .. واشتد اهتام الصين بالاسلحة النووية وامتلاكها .. وكانت تعتمد على الاتحاد السوفيتي في صناعة الاسلحة الحديثة .. وقد حصل الصينيون على مفاعل ذري من الاتحاد السوفيتي اقيم في منطقة بكين يعمل تحت الرقابة السوفيتية .

وفي عام ١٩٥٨ ظهر نشاط صيني كبير للحاق بالركب النووي .. وبادر الاتحاد السوفيتي الى سحب معونته وخبرائه .. وكانت تلك البادرة الحافز الأكبر الذي جعل الصين تصمم على امتلاك السلاح النووي وصنعه لنفسها معتمدة على ابنائها .. ووجدت ان امتلاكها لهذا السلاح سيدعم مركزها داخل الكتلة الشيوعية وتنافس على الزعامة في هذه

الكتلة .. وتقوي مركزها على الصعيد العالمي كدولة كبرى نووية .. فترفع معنويات الشعب الصيني انطلاقا من شعور القوة والاعتزاز.

وفي نهاية عام ١٩٦٤ قامت باول تفجير لقنبلة نووية فحققت نجاحا كبيرا .. ثم توالت التجارب في السنوات التالية ٠٠ وركزت في الخمس عشرة سنة المنصرمة على تطوير وسائل ايصال المقذوف النووي الى الهدف بصنع الطائرات الحديثة والصواريخ متوسطة المدى والعابرة للقارات .. كما أنها لحقت الركب مؤخرا بدخول عصر الفضاء .

كانت نظريات ومباديء ماوتسي تونغ التي ظهرت خلال حقبة الثلاثينات .. هي الاساس الذي قامت عليه الاستراتيجية الحديثة للصين .. فقد وضع ثلاثة مباديء لحرب التحرير الصينية اولها : الاشتباك والقتال بثبات في أية معركة أو عملية عندما يلوح النصر مؤكدا .. وثانيها : تفادي أي اشتباك حاسم عندما لا يكون النصر مؤكدا .. وثالثها : الامتناع عن خوض أية معركة استراتيجية حاسمة اذا كان في ذلك مخاطرة على مستقبل الدولة . وركز ماو باديء ذي بدء على الحرب المحدودة الممتدة بشن هجمات متتالية منتشرة لتؤدي الى تغيير ميزان القوى عندما لم تكن قواته متفوقة .. كما ركز على مبدأ كسب الحرب باستغلال العامل النفساني .. والهجوم المضاد وتشجيع العدو على التقدم في اتجاه محدد ومن ثم استغلال اندفاعه في ارض معادية ومهاجمته .. وخلق موقف معنوي يؤدي الى اختلال توازن قواه المادية .. وقد اجمل اسلوبه في الكلمات الآتية : « اذا تقدم العدو نتقهقر ، واذا وقف نزعجه ، واذا تعب نهاجمه ، واذا تقهقر نطارده » . ويعارض ماو ـ التهور ، والمغامرة والتمسك بألارض ، واستعجال النصر .

وتستغل الاستراتيجية الصينية جميع الظروف والعوامل بما فيها المفاوضات لمضاعفة العامل النفساني .. وحرمان العدو من قطف ثمار نصره .. ومهاجمته في لحظات النشوة بالنصر وقد طبقت هذه المباديء في الحرب الكورية .

ظلت الاستراتيجية الصينية تعتمد على الدرع النووي السوفيتي خلال عقد

الخمسينات .. وجرى توقيع معاهدة الصداقة السوفيتية الصينية في ١٤ شباط عام ١٩٥٥ وتعهدت الدولتان بمقتضاها ان تهب كل منهما للدفاع عن الاخرى في حالة تعرضها لهجوم مباشر من جانب اليابان او اية دولة حليفة لها .

واستمرت معاونة السوفيت في مجال الدراسات النووية حتى عام ١٩٦٠ عندما اشتد النزاع بين الدولتين من الناحية الأيديولوجية وتحول الى صراع على زعامة الكتلة الشرقية .. وعمدت الصين الى تطبيق مبدأ الاعتماد على النفس فقط .. والعمل ليل نهار حتى تم صنع القنبلة النووية عام ١٩٦٤ وتهيأ الدرع النووي لقواتها وهي اكبر دولة في العالم من حيث التعداد .. فدعمت الاسلحة النووية قوات الصين التقليدية المتفوقة .. واكبر قوة تقليدية في الشرق الاقصى .. مما أثر على ميزان القوى .. فتوفر للاستراتيجية الصينية وسيلة القوة العصرية مما جعلها اكبر تأثيراً في المجال الدولي .

ولكن استراتيجية الصين يوجه عام ظلت تعتمد على المبادىء التي وضعها ماو حتى بعد امتلاكها السلاح النووي .. وقد تضمن تصريح ١٦ تشرين الاول عام ١٩٦٤ النص التالي : « ان القنبلة الذرية نمر من ورق ، وان هذا الرأي سيبقى دائما يعبر عن وجهة نظرنا ، فالصين تصنع اسلحة ذرية لا لأنها تؤمن بجبروتها ، ولا لأنها تنوي استخدامها ولكن الواقع عكس ذلك تماما ، فان هدف الصين من وراء صنع اسلحة ذرية هو انهاء احتكار الدول النووية الكبرى للاسلحة النووية ، والقضاء على تلك الاسلحة » . وأضاف التصريح :« ان الحكومة الصينية مخلصة للماركسية اللينينيه ، ولدولة البرولتياريا ، تؤمن بالشعب ، وان الشعب هو الذي يقرر نتائج الحرب وعواقبها وما من سلاح يقرر ذلك » . وذكر التصريح ايضا تأكيد الصين انها لن تعمد الى استخدام السلاح الذري في الحروب التحريرية ، وعدم الوقوع في سياسة المغامرة ، وان صنع الصين للأسلحة النووية هو لاهداف دفاعية فقط ، ولن تكون البادئة بأستخدام الاسلحة النووية .

بعض معلومات عن الأسلحة الاستراتيجية الموجودة حالياً بحوزة كل من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي

الولايات المتحدة

السلاح	عدد المخزون	المدى	عدد الرؤوس النووية	الحصيلة او القدرة
صاروخ منتمان مارك/٢ عابر للقارات	٤٥٠	٧٫٠٠٠ ميل	١	١ ميغاطن
صاروخ منتمان مارك/٣ عابر للقارات	٥٥٠	٨٫٠٠٠ ميل	٣	١٧ ميغاطن
صاروخ تيتان مارك/٢ عابر للقارات	٥٤	؟	١	٥ ميغاطن
صاروخ بولاريس يطلق من الغواصات	١٦٠	٢٫٨٧٥ ميل	١	٦ ميغاطن
صاروخ بوسيدون يطلق من الغواصات	٤٩٦	؟	١٠	٤ ميغاطن
صاروخ ترايدنت	؟	٤٫٦٠٠ ميل	٨	١٠٠ كيلوطن
صاروخ ترايدنت/٢	؟	٦٫٠٠٠ ميل	١٤	؟

القاذفة ب ـ ٥٢	سلحت كل قاذفة بعشرين صاروخ كروز جو/ارض يصل مداه الى ١٥٠٠ ميل وتستطيع اطلاقه من خارج الفضاء السوفيتي .
القاذفة أ ف ـ ١١١	معظمها منفتح للعمل في بريطانيا وتحمل كل واحدة ستة صواريخ . وتملك الولايات المتحدة انواعاً كثيرة من الأسلحة النووية التعبوية واهمها صاروخ كروز ارض/ارض ومداه ١٥٠٠ ميل بطيران منخفض ، وهو موجه بجهاز كمبيوتر لتمييز سلاسل الجبال عن طريق خارطة مرسومة في ذاكرته ، وقوة كل رأس ٢٤٠ كيلو طن .

أما صاروخ بيرشنغ فيبلغ مداه ٤٦٠ ميلا وقوته ٤٠٠ كيلو طن .

الاتحاد السوفيتي

السلاح	عدد المخزون	المدى	عدد الرؤوس النووية	الحصيلة او القدرة
صاروخ س س ١١ عابر للقارات	١٠ر١٠	٦ر٥٠٠ ميل	١	١ ميغاطن
صاروخ س س ١٣ عابر للقارات	٦٠	؟	١	١ ميغاطن
صاروخ س س ١٧ عابر للقارات	؟	٦ر٢٠٠ ميل	١	٥ ميغاطن[1]
صاروخ س س ١٨[2] عابر للقارات				
صاروخ س س ١٩[3] عابر للقارات وهو يحل تدريجياً محل صواريخ س س ١١				
صاروخ س س ـ ن ٦ يطلق من الغواصات	٥٢٨	؟	١	١ ميغاطن[4]
صاروخ س س ـ ن ٨ يطلق من الغواصات[5]	١٨٠	٤ر٨٠٠ ميل	١	١
صاروخ س س ـ ن ١٨ يطلق من الغواصات[6]	٥ر٧٠٠ ميل			
القاذفة توبيلوف	تحمل صاروخ جو/أرض مداه ٤٠٠ ميل .			
القاذفة ميلسيشيف	توازي القاذفة الأمريكية ب ـ ٥٢ ، وتحمل خمسة أطنان من القنابل مسافة ٧ر٠٠٠ ميل .			

ويملك الاتحاد السوفيتي صواريخ تعبوية بمدى يتراوح بين ٢ ـ ٣ آلاف ميل مخصصة لأهداف في الصين وأوروبا الغربية وأهمها صاروخ س س ٢٠ وهو متحرك على عربة اطلاق ، وله ثلاثة رؤوس نووية قوتها ٦٠٠ كيلو طن .

---

(١) أو أربعة رؤوس نووية بقوة ٩٠٠ كيلو طن .

(٢) وهو أكبر صاروخ سوفياتي بثلاثة انواع ، واحد يحمل ثمانية صواريخ عيار ٢ ميغاطن ، والثاني منفرد وأكبر بدقة كبيرة ، والثالث أقل دقة .

(٣) وهو يحل تدريجياً محل صواريخ س س ١١ .

(٤) موزعة على ٢٩ غواصة نوع يانكي وتحمل كل واحدة ١٦ صاروخاً .

(٥) موزعة على ٣٣ غواصة من نوع دلتا .

(٦) سيحل محل س س ـ ن ٨ ، وله مدى مماثل ولكنه يحمل ثلاثة رؤوس نووية .

مصادر الكتاب

١ . أثر استخدام الطاقة النووية على العلاقات الدولية واستراتيجية الكتلتين لواء دكتور محمود خيري بنونة

٢ . استراتيجية العصر النووي ـ الجنرال بيير غالوا ترجمة العقيد الركن محمد سميح السيد

٣ . نظرة جديدة الى الحرب ـ الكابتن ليدل هارت تعريب أكرم ديري

٤ . تاريخ فن الحرب ـ الجنرال ستروكوف ترجمة العميد الركن صباح الدين الاتاسي

5. History of Warfare — Field Marshal Viscount Montgomery of Alamein..

6. Nuclear Strategy and National Security Points of Veiw — Robert J. Pragner, & Roger P. Labrie.

7. Introduction to Strategy — Gen. A. Beaufre.

8. Strategy in the Missile Age — A. Broclie.

كتب مطبوعة للمؤلف :

- معارك شمال إفريقيا .
- من إعلام تاريخنا العسكري .
- معارك شمال غرب أوروبا .
- حرب رمضان وتحطيم الأسطورة .
- التحدي النووي في الشرق الأوسط .
- الجيش العربي الأردني في حرب ١٩٤٨ .
- الجبهة الأردنية ـ حرب حزيران ١٩٦٧ .
- التوازن الإستراتيجي في الشرق الأوسط .
- الاستراتيجية النووية .

السعر دينار أردني واحد

طباعة شركة المـ